

مقدمة يا ولدى

لم أكن أتوقع أن أبدا كتابة هذه الكلمات لك فى شهر يناير سنة 1957.. أى بعد شهرين فقط من مولدك.. أثناء اعتداء بريطانيا، وفرنسا وإسرائيل، على وطننا الحبيب مصر ..

وستقرأ يا بنى فى كتب التاريخ عن هذه الحقبة ، ولكننى عشتها لحظة بلحظة وانفعالا بانفعال ، عشتها كما عاشها كل مواطن مصرى - وقتذاك - كانت تظلمه سماء مصر وترتوى عروقه بماء نيلنا المقدس .. ولن أحدثك حديث الكتب أو المؤرخين ..وانما سأحدثك حديثا فيه من قلبى، وفيه من عقلى، وفيه من وجدانى ..

وكما قلت لك يا بنى .. لم اكن أتوقع أن امسك بقلمى لكى اسطر لك هذه الكلمات، وعمرى على الأرض لم يتجاوز الشهرين .. فقد ولدت يا بنى وأنا فى شغل شاغل عن بيتى وأهلى.. لقد كنا نعيشى يا بنى فى تلك الأيام من شهر نوفمبر سنة 1956 ونحن نخوض معركة الموت والحياة من أجل مصر أمانا . . معركة نسينا فيها الأهل والعيال ، نسينا فيها كل شىء ، وتضاعلت، وانمحت من نفوسنا كل عاطفة لأهل او ولد الا عاطفة واحدة كانت تشغل كياننا فى ليلنا ، ونهارنا ، بأعنف مما يحسه الفرد نحو أهله وولده .. وكانت تلهب عزائمنا للدفاع عما هو أقدس وإجل من الأهل والمال والولد .. وهى مصر..

لقد جاعنى أول خطاب عن قرب قدومك وأنا لاه عنك.

إننى أذكر تلك الليلة من شهر نوفمبر 1956 .. وكنت كعادتي امضى سحابة النهار فى مبنى مجلس قيادة الثورة .. إلى جوار الرئيس جمال ، مع بقية الزملاء .. حيث كنا نتلقى الأنباء ونضع أنفسنا تحت تصرفه .. وكنت انصرف بعد ذلك إلى مكتبي فى " جريدة الجمهورية " لكى أكتب مقالى .. وأظل حتى أقرأ آخر برقية من برقيات وكالات الانباء .. وفى ذلك اليوم ، وعلى خلاف عادتي بقيت فى مبنى مجلسى قيادة الثورة .. . وكتبت مقالى من هناك .. وأرسلته إلى الجريدة .. وبينما أنا اناقش بعض الزملاء اذ دق جرس التليفون فى غرفة نوم الرئيس جمال .. وكنت أنا المطلوب ، وأبلغنى انك فى الطريق الى الدنيا يا بنى .. وأن والدتك تنتظر قدومك بين لحظة وأخرى ..

وصدقنى يا بنى .. . أننى نسيت كل ما يتعلق بك بمجرد أن وضعت سماعة التليفون ، ورحت أكمل حديثى السابق مع الزملاء .. ففد كنا نتناقش فى مختلف الاحتمالات لتى قد يلجأ إليها الأعداء . بعد أن اتضحت نواياهم الحقيقية . وهى تحطيم مقاومة الشعب المصرى كلية . والقضاء على قواته المسلحة قضاء تاما .. وكانوا قد توسلوا بمؤامرة 29 اكتوبر سنة 1956 المشهورة لكى يحققوا هذه الأهداف .

وحين أيقظونى فى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى لكى ينبئونى بأنك أتيت الى عالمنا ، وأنت ولد . لم يغير هذا الخبر من الأمر شيئا .. ولو إنه فى ظروف أخرى

كان يمكن إن يكون حدثا خطيرا . فستعلم يابنى ، أننا نحن الفلاحين نمتبر ولادة الولد انتصرا . . لا لشيء إلا لأنه ولد وليس بنتا . . ولعل هذه العادة مورثة عن أجدادنا العرب الذين كانوا يحتفلون بالولد ويتجاهلون البنت . . وقد نشأت فى قريتنا على هذه التقاليد . . ولو أنه قد يكون لى رأى آخر اليوم . . الأ اننى كأى فلاح فى قريتنا . لا أستطيع إلا أن أحترم تقاليد بيتنا الساذجة الطيبة . . فهذه التقاليد هى عصارة تجارب الأجيال . . وهى التى علمتنا السماحة وغرست فى نفوسنا اليافعة مبادئ الخلق والشرف والكرامة . .

الا أنه فيما يتعلق بك يا بنى . . فان المسألة فى نظر بيتنا لها أهمية أخرى غير ما تمليه تلك التقاليد . فقد ولدت يا بنى ، بعد أربع بنات . هن اخواتك اللاتى يكبرنك . وخامسة ماتت وهى طفلة . .

فالأمر والحالة هذه كان يوجب الأحتفال بمقدمك يابنى .

ولكننى على العكس من ذلك تماما، لم أفعل شيئا أكثر من أن أشكر الطبيب الذى تولى أمرك . . وعدت . إلى سريرى فى جريدة الجمهورية لكى أصيب بعض الراحة لما يأتى به الغد .

لم احتفل بك اذن يا بنى . . بل لم افكر لحظة واحدة فى هذا الأمر . . ولم أحس أبدا بما يحس به كل أب فلاح جاءه ولد . . ليسى لأن المناسبة كانت لا تستحق الاحتفال، وليس

لأئنى أسوى فى عاقتى بىن البنت والولد ، ولكن كان إكبر
وأجل من كل ذلك. . .

كان هناك أولا أبناؤنا وأطفالنا ، ونساؤنا ، اللى
نفقدهم كل يوم بل كل ساعة فى بورسعيد ، وفى سىنا وفى
غزة وفى جمىع أنحاء مصر . . بفعل قنابل برىطانيا وفرنسا
وأساطيلهما ، مضافا إليها قنابل حلف الاطنطى وأساطيله
وعتاده بأكملة :

أنور السادات

الفصل الأول

* عمك جمال وأسلحة حلف الاطنطى

* أقدم وثيقة لاعلان حقوق الإنسان

عمك جمال واسلحة حلف الاطنطى

حلف الاطنطى يا بنى .. كان تنظيمًا أنشأته أمريكا ، وبريطانيا وفرنسا وجمعوا له دول غرب أوربا لكي يفرضوا حصارا على روسيا ، يكون من شأنه أن يبعث الراحة فى أعصاب البعض التى تمزقها كلمة الشيوعية ويكون من شأنه أيضا ان تعيش بريطانيا وفرنسا على أموال أمريكا . وصدقاتها، وحماتها بمد أن خرجت هتان الدولتان من الحرب الثانية مفلستين وضعيفتين ..

ولقد كان من الممكن أن تعيش بريطانيا وفرنسا على أموال أمريكا وحماتها عيشة شريفة . ولكن هاتين الدولتين على ماتعودتا عليه ، لن تستطيعا أبدا العيش بشرف.. فانه ما إن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى راحت بريطانيا وفرنسا تطبقان أخط أساليب الاستعمار ضد الشعوب الصغيرة بقصد السيطرة على مواردها وحرمانها من ممارسة سيادتها.. واستخدمت الدولتان قى ذلك دولارات أمريكا وأسلحة أمريكا عن طريق حلف الأطنطى من جهة .. ومن جهة أخرى استخدمت هاتان الدولتان السارقتان ، اسم أمريكا ونفوذها وتأييدها ، فى المجال الدولى عن طريق هيئة الامم المتحدة ، لكي يجعلنا من شريعة الغاب دستورنا للمعاملات فى هذا العالم . .

معذرة يا بنى.. ولكننى إريد أن أقول لك أن أسلحة هذا الحلف، وأساطيله، وطائراته، ودباباته ، هى التى كان مقدرًا لها ان تفتك بقوات مصر المسلحة تحت ستار إسرائيل لولا،

يقظة جمال عبد الناصر الذى أصدر أوامره بسحب قواتنا من
سيناء ، وتوحيد الجبهة فى اللحظة الحاسمة ..

اسلحة حلف الأحنظلى هذه هى التى جاءت الى مصر
لكى تخلع عمك جمال عبد الناصر.. وتقضى على الثورة ..
لكى تعود مصر من جديد مستعمرة ليس لبريطانيا وحدها،
هذه المرة ، وانما لبريطانيا وفرنسا واسرائيل . .

أسلحة حلف الأطنظى هذه .. هى التى جاءت الى مصر لكى
تقضى على القرمية العربية ، وزحفها الصاعد المقدس ..
فزعاء الغرب لم يفهم أن يحصلوا على البترول ، ولا ان
يستخدموا قناة السويس فى حرية وأمن . وانما هم يريدون
أن يستعبدونا ويذلوا رقابنا ، ويحصلوا ايضا على البترول،
ويملكوا القناة ويقضوا إلى الأبد على كل وعلا ، أو حرية .
أو استقلال ، فى دنيا العرب وفى مصر على وجه
الخصوص. . .

وكانت هناك ثانيه معركة التحرر للشعوب الصغيرة ،
التى كتب علينا فى لوح القدر ان نخوضها نحن فى
مصر على الخصوص ..

وتاريخ هذه المعركة فى مصر يا بنى قديم ومجيد .. بدأ
قبل أن أولد، وقبل أن يولد جدك : بل قبل أن يولد جد جدك...
تاريخ طويل كتبه أبائنا واجدادنا بدمائهم عبر القرون ..
وكان كل جيل يسلم الأمانة الى الجيل الذى يليه، وتصميم

شعبنا فى كل مرحلة صلب لا يلين .. ان كل معركة خاضها شعبن ، كانت تزفده تصمفما على تصمفمه .. وكل دماء سالت من الأحرار على أرضنا ، كانت تغذى شجرة الحرفة التى تمد ظلالها الفوم على وادفنا الأخضر من أقصاه إلى أقصاه ..

لم فسلسلم شعبا فبدا فبى للغزو الأجنبى ، ولا للطففان .. وحقن كان فغلب هذا الشعب على أمره من قوى مففوقة علىه ، كان فعمد من فوره إلى المقاومة الشعبفة فى تصمفم واصرار، حتى ففنتصر نى آخر الأمر على أعدائه ..

وكما كانت لشعبنا فى الماض السحق حضارة ومدفنه ، فنطق إلى فومنا هذا بأروع انتصارات بناءة فى العلوم ، والفنون ، الهندسة، والبناء ، والطب ، والفلك .. فان تاريخنا فى ماضفنا القرفب فسجل لهذا الشعب سجلا حافظا بالكفاح من أجل القفم البشرفة التى فظن البعض فى الغرب بأنهم حمافها ، وهم الذفن داسوها فى الماضى ، ففدوسونها كال فوم فى وقاحة، وبلا أدنى خجل او حفاء ..

أ قدم وثيقة لإعلان حقوق الإنسان

ففى سنة 1795 الميلادية إى منذ مائة وستين عاما من يومنا هذا ، حين كانت دول كثيرة من التى تطلق على نفسها دولا كبرى أو عظمى اليوم ، لا تزال شعوبها تجهل القيم الحضارية والحقوق الأساسية للإنسان ، كان الشعب المصرى يفرض إرادته على حكامه ، فى وثيقة أجمع المؤرخون المصريون والأجانب على انها بحق ، وثيقة اعلان حقوق الإنسان ..

فى سنة 1795 قرر الشعب المصرى ما يأتى : -

- 1 - إلا تفرض ضريبة إلا اذا أقرها مندوبوا الشعب . .
- 2 - أن ينزل الحكام على مقتضى أحكام المحاكم .
- 3 - أن لا تمتد يد ذى سلطان إلى أى فرد من أفراد الأمة إلا بالحق والشرع ...

وذهب الشعب الى إبعاد من ذلك فاجبر حكامه فى ذلك الوقت على الإعراف ف هذه الوثيقة بخطتهم وإنهم " تابوا ورجعوا . . "

واليك يابنى القصة كما يرويها الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المصرى الكبير:

" فى أوائل شهر ذى الحجة من عام 1209 هجرية (1795 ميلادية) جاء رجال من بلبيس الى المشايخ فى الأزهر يشكون الظلم ، وتقابلوا مع الشيخ الشرقاوى يعلنون سخطهم عن الضرائب الباهظة، والاستبداد الجاهل. واستشعر الشيخ الشرقاوى أن الشعب جاد فى سخطه كل الجد ، وأن النفوس تغلى غليانا مكبوتا لا تؤمن نتائجه ..

واستشعر فى نفسه تلكم المسئولية الدينية ، والوطنية اللتين
اشتهر بهما رجال الدين فى ذلك العهد فلم يحول ان يهدىء
من نفوس هؤلاء الثائرين ، ولم يحاول أن يقول لهم أنهم
أولوا الأمر، لم يثبط ارادتهم .. وأما اشعل جذوتهم، وأحسن
توجيههم . .

غضب الشيخ لكرامة الشعب.. فتوجه الى الأزهر، وجمع
المشايخ ، وقفلوا ، أبواب الجامع ، وأمروا الناس بترك
الأسواق والجوامع والمتاجر .. وركب الشيخ فى اليوم التالى
وخلفه خلق كثير ، الى منزل الشيخ السادات .. وكان منزله
قريبا من منزل أبراهيم بك شيخ البلد ، الذى لم يلبث حين
رأى هذا التجمع أن أرسل مندوبا عنه – هو أيوب بك
الدفتردار إلى العلماء ، وهم قادة هذا الجمع الشعبى ..
ووقف المندوب بين أيديهم يسألهم عن مرادهم فقالوا :

نريد العدل الذى لا تقوم حياة بدونه..

وابطال الحوادث ، و المكوسات.

ونريد رفع الظلم الذى هو أساس الهوى الى الحضيض . .

ونريد ازالة الجور لأن الجور مرتعه وخيم ..

نريد إقامة الشرع لأنه شرع الله وقد أمنا به ..

ونريد أبطال الحوادث و اقرار الأمن . .

كما نريد رفع المكوسات .. لأن الضريبة بغير أستئذان

الشعب، لا يمكن ان تكون شرعية ولا مقبولة بحال . .

وكانت ملحمة كلامية بين العلماء ومندوب إبراهيم بك

شيخ البند.. قال العلماء فيها كلمة الحق .. لأن الخوف من

غير الله شرك جزاؤه الخلود فى النار..

قالوا له " ان الضرائب لا تحتمل .."

وقال الدفردار : " ان النفقات باهظة " .
قال العلماء: " وما الباعث على الاكثار من النفقات ،
والأمير يكون أمير بالعطاء لا بالأخذ ؟ " .
وبلغ الأمر غايته .

وخشى ابراهيم ومراد حكام مصر وقتذاك مغبة الثورة
. . فأرسلوا يسترضون العلماء ويستجيبيون لمطالبهم ..

واجتمع الأمراء فى اليرم الثانى . . وأرسلوا الى
العلماء يرجون حضورهم .. وكان ذلك فى منزله ابراهيم
بلث.. فحضر منهم الشيخ السادات ، والسيد عمر مكرم ،
والشيخ الشرقاوى ، والشيخ البكرى ، والشيخ الامير،
وكانوا جميعا من رسل الثورة وقوادها الظاهرين . . وطال
الجدل بين الشيخ والأمراء مرة أخرى ..

احدم النقاش بين الشعب وحاكميه. . بين شعب
أعزل الا من الأيمان ، والتصميم.. وبين حاكم مسلح تعود
الطفيان . .

وأعلن الحاكمون أنهم " تابوا ورجعوا " .. وأنهم
"سيشدون على أيدي أتباعهم ، ليكفوا عن سلب أموال الناس
" والأهم من كل ذلك ان قاضى القضاة كان موجودا فى هذا
المجلس ..، وأن وثيقة رسمية سجلت على الأمراء أمضاها
الوالى العثمانى ، وأمضاها ابراهيم ومراد .

كان تسجيل هذه الحقوق فى حد ذاته معنى من أخطر
المعانى فحقوق الشعب حقوق مشروعة .. ومطالبه مؤيدة
وقاضى قضاة البلد مختص بتسجيل هذه المطالب .. ودمغ
هذا الصك بالدمغة الرسمية والشرعية، وهى وثيقة لحقوق
الإنسان كأقدم ما تكون الوثائق ، أعلنها شعب مصر منذ

مائة وستين عاما ، ليفهما لناس عن هذا الشعب غير الذى يحاول المستعمون واذنابهم إن يبقوه فى الأذهان ، وليدرك العالم أن مصر العظيمة فى القديم ، كانت هى مصر البارة بالإنسانية ، والحريصة على كرامة الفرد ، فى تاريخها الحديث . .

!ت سطور هذه القصة الساذجة لتعكس يا بنى روح شعب مصر الوداع الصبور ، المكافح .. وتعكس فى نفس الوقت مدى فهمه منذ القدم للمعانى ، والقيم الإنسانية ..

فمبدأ عدم فرض الضريبة الا إذا أقرها مندوبى الشعوب ، وهو الذى نادى به شعب مصر عام 1795 وأرغم حكامه على التسليم به ، هو إروع دليل على ما لشعب مصر من وعى ديمقراطى أصيل منذ القدم .. وعى ليس مفتعلا ولا مدسوسا ، أما هو وعى من صميم البيئة المصرية التى ورثت على مر الأجيال والسنين ، تقاليد حضارات مجيدة .. كانت كلها حضارات علم وبناء وعمران . .

وانظر يا بنى الى الحوار الذى حوته هذه القصة ، والذى دار بين ممثلى الشعب وممثلى شيخ البلد الحاكم .. ان الثورة الفرنسية كلها لتتضاءل أمام المغزى العميق لهذا الحوار.. فلقد أسفرت الثورة الفرنسية عن مبادئ ثلاثة هى ، الحرية والاخاء والمساواة ، لم تلبث أن أصبحت فى فرنسا ذاتها وأثناء الثورة الفرنسية نفسها شعارا للقتل والتدمير بين الفرنسيين الثوار أنفسهم .. ثم ما لبثت هذه المبادئ ، ان صدرتها فرنسا الى الخارج على صورة استعمار خبيث يفتك بالشعوب البريئة ، ويسلبها إرزاقتها .. ويقتل النساء ، ويفتك بالاطفال ، ويغتصب الأرض ، ويجعل من الانسان

شيئا أخط من الحيوان .. كل هذا باسم الحرية والاخاء
والمساواة ..

قارن هذا يا بنى بوقفه شعب مصر عام 1795 وهو
يقرر فى الحوار البسيط، أخطر وأعظم المبادئ التى تحفظ
لهذه البشرية قيمتها ، وللإنسان حقوقه وكرامته ..

ان العدالة الاجتماعية التى لم يعرفها العالم الا حديثا ،
قررها شعب مصر فى حوار الساذج مع حكامه ، حين
اشتكى ممثلو الشعب من فداحة الضرائب .. فرد الدفتردار
ان النفقات باهظة .. فكان رد الشعب :

((وما الباعث على الأكتار من النفقات والأمير يكون
أميرا بالعطاء لا بالأخذ))

أتعرف يا بنى ماذا تحويه هذه العبارة الهادئة المرسلة
فى غير تكلف ولا غرور . . ؟

أنها تعنى أن الأمير أى الحاكم فرض عليه أن يرفع عن كاهل رعيته
الأعباء .. فلا يكلفها من النفقات الباهظة ما لا تطيق.... وأن الحاكم
لا يستحق تأييد شعبه ، الا اذا كانت سياسته هى العطاء أى توفير
الحياة الكريمة لجميع افراد هذا الشعب باعطائهم حقوقهم ، وأعطائهم
فرصا متكافئة فى الحياة واعطاء الشعب نصيبه العادل فى
أمواله وميزانيته.. فلا يستأثر لنفسه ، ولا لحاشيته ولا لفئة
دون فئة بما يكون ملكا لهذا الشعب .

وهل تكون العدالة الاجتماعية غير هذا المعنى..؟ أو هل
تفسر العدالة الاجتماعية بغير هذا التفسير .. ؟

معذرة يا بنى فقد اكون قد أطلت عليك.. ولكننى كان لا
بد لى أن اذكر لك شيئا عن تاريخ بلادك التى قدر لها أن
تحمل عبء معركة التحرير عن الشعوب الصغيرة فى أيامنا
هذه ..

واردت أن أربط ماضيها بحاضرنا ، قبل أن اروي لك عن
المعركة التي شغلتنى عنك ، وألهتنى عن قدومك ..
فكما قلت لك يا بنى.. كتب علينا لوح القدر أن نخوض
نحن فى محسر معركة التحرر باسم جميع الشعوب الصغيرة
.. ومن سخرية القدر أيضا، ان بعض حكام هذه الشعوب
الصغيرة لا يجهل هذه المعركة فحسب ، وانما هم يحاولون
تضليل شعربهم فى هذه المعركة الفاصلة فى تاريخ البشرية
، ومع ذلك فنحن مصرون علي تحقيق أهدافنا لا من أجل
الشعب المصرى وأمتنا العربية فقط وإنما من أجل الشعوب
الصغيرة المغلوبة التى تؤمن بالمثل التى تؤمن بها، المثل
التي حارب من أجلها؟ أبأؤنا وأجدادنا ، فى تصميم وايمان .
إننا نخوض هذه المعركة منذ طفولتنا يا بنى ، ولا تعجب
لقولى ، فقد نشأنا فى جيل كان كل ما يحيط به هو
المتناقضات.

والسنين التى عشتها فى القرية قبل ان أنتقل الى المدينة
يا بنى، ستظل بخواطرها وذكرياتها زادا يملأ نفسى
ووجدانى بالصفاء والايمان ، فهناك تلقيت يا بنى اول دروس
فى هذه الحياة ..

تعلمتها على يد الأرض الطيبة السمحة ، التى لا تبخل
على الناس بالزرع والثمر ...
وتعلمتها من سماء قريتنا الصافية المشرقة ..
تعلمتها فى ظل الجميزة الخضراء الصامدة ، وعلى
إغصان الصفصافة الخجول الوديعه ..
تعلمتها على حافة الجدول الصغير الذى ينقل إلى الحقول
ترياق الحياة فى رضى وقناعة ..

تعلمتها فى ظلال الأمسيات البريئة مع زملاى من
شباب القرية ، ونحن نلعب تحت ضوء القمر فى شوارع
القرية الساكنة الهاجعة ..
وتعلمتها أيضا على أستاذى الحبيب .. جدتى . . .

الفصل الثانى

* ساحكى لك عن جدتى

* نفس الهدف

* الماضى يعود

سأحكى لك عن جدتى

إن أول ما تفتحت عليه عيناى يا بنى فى بلدتنا .. هو ذلك الحديث الهامس ، الذى كانت تحكيه لى جدتى – لوالدى – كل ليلة قبل النوم .. وهو الحديث الذى كنت أعيش عليه طوال يومى ، فى انتظار قدوم الليل ..

وقبل أن احكى لك عن احاديث جدتى .. أريد إن أحكى لك عن جدتى نفسها يا بنى .. وهى تلك التى علمتسى كل شىء .. ولم تبخل على عقلى وروحى بأى شىء ..

فقد تركنى والدى أنا وأخى الاكبر، فى رعاية جدتى .. لأنه كان يعمل موظفا بالسودان .. وكاتت جدتى رحمها الله ، لا تتولى أمرى أنا واخى فقط ، وإنما كانت أيضا تقوم على امر العائلة بأكملها .. وعلى زراعة المساحة الصغيرة من الأرض التى تمتلكها العائلة ..

ولقد كانت رحمها الله ، أمية لا تقرأ ولا تكتب .. ومع ذلك فقد كانت ذات فطرة واعية ، وذكاء وشخصية ، قلما يجدها الانسان اليوم فيمن تعلموا ، وتثقفوا أحسن الثقافات .. لقد كانت الحياة هى المدرسة التى تلقت عليها جدتى الثقافة .. لذلك كانت تصرفاتها سديدة .. فلا عجب أن كنت أرى الرجال يقصدونها للنصيحة والرأى . وهى فى كل ما تشير أو تنصح رزينة الحجة ، ثاقبة البصر.. تعرف للنفس البشرية ضعفها، وتلتمس الخير والوفاق فى حماس يدخل الدفاء الى قلوب أهل القرية السذج الطيبين . .

وأحاديثها لم تكن للتسلية فقط يا بنى . . وأتما كانت دروسا
وعبرا .

كان الناس مفتونين بعرابى

أول ما حدثتني يا بنى .. كان ذلك عن عمها الذى كان
ضابطا فى الجيش المصرى ، أيام ثورة عرابى سنة 1882
التي انتهت بالاحتلال البريطانى لمصر فى تلك السنة..

اننى أذكر كيف كانت تحكى لى ، وفى عينيها بريق وحماس
عجيبان..

فقد فوجئت القرية الوادعة فى يوم بدخول فارس على .
جواده ، يركض فى سرعة رهيبه، تم لم يلبث أن أحتوته
القرية..

وكان الناس وقتذاك مفتونين بعرابى . . ذلك الضابط
المصرى الفلاح ، الذى تحدى الخديو التركى ، من أجل
الضباط المصريين .. ثم من اجل اقامة حياة ديمقراطية،
يتولى فيها الشعب أموره بنفسه . . وكانت دعواتهم له
بالنجاح حارة.. ومن كل قلوبهم خاصة . . وأنهم عرفوا أن
الخديو الخائن قد استنجد بالانجليز الأجانب ..

وحين دخل هذا الفارس فى سرعته الرهيبه.. اندفمت
الجموع من خلفه... خاصة وأنه كان يرتدى ملابس الضباط.
من هو الفارس؟

وكانوا جميعا فى شوق الى سماع . الأنبياء عن
جيشهم الذى يحارب من اجلهم .. وعن عرابى بطلم .
وأخذوا يندفمون من شارع إلى عطفة ، ومن عطفة الى

حارة ، وراء ذلك الفارس الجامح .. وفى كل لحظة ، ينضم اليهم فوج جديد بحماس جديد . إلى أن فوجىء هذا الجمع بالحصان والفارس وقد سقطا على الأرض فى منعطف ضيق .. وكان الحصان من فرط لهثته وتعبه ، يرقد ممددا على الأرض ... والفارس ملقى إلى جواره ، ودماءه تنزف بغزارة.

وعلى الفور تعرف الناس على الضابط الفارس .. وهوأبن بلدهم .. وقد كان على قيد خطوات من منزله.. فنقلوه اليه..

أما الحصان فانه لم يلبث أن مات بعد دقائق قليلة ..

كان الفارس كما روت جدتى .. هو عمها .. الذى كان يعمل ضابط فى سلاح الفرسان فى الجيش المصرى ..

وقد روى للأهل والأصدقاء قصته ، بمد ان ضمدوا له جراحه ورشوا وجهه بالماء ..

وكانت قصته .. هى قصة الجيش المصرى الذى قاتل فى الاسكندرية ، وكفر الدوار: سنة 1882 بقيادة عرابى .. . وصد الغزاة الانجليز .. وعندئذ تحركوا الى قناة السويس ، فدخلوا منها بالتأمر مع ديلسبس .. وتسللوا بالخيانة والغدر إلى مصر، فى الوقت الذى كان ديلسبس يظمن فيه عرابى بأن القناة لن تستخدم فى غزو مصر.. مما جعل عرابى يعدل عن تعطيها: أحتراما منه لكلمة ذلك الأفاق .. .

ومن سخرية القدر يا بنى.. أن نفس المشهد يتكرر بعد مرور أربع وسبعين سنة .

فان الاحتلال البريطانى الذى بدأ سنة 1882 كان قد
أنتهى على يد ثورة 23 يوليو سنة 1952 باتفاقية الجلاء
التي وقعت فى 19 من أكتوبر سنة 1954 وانتهى جلاء آخر
جندى بريطانى عن اراضينا يوم 18 من يونيو سنة 1956 ،
لكن لم تمضى ثلاثة أشهر على تحرير ارضنا، حتى بدأت
إسرائيل فى 29 من أكتوبر سنة 1956 عدوانها على مصر،
بالأشتراك مع بريطانيا وفرنسا ، اللتين لم تلبثا ان بداتا
دورهما فى المؤامرة الدنيئة يوم 31 من اكتوبر سنة 1956
..

قصة إنذارين رفضتهما :

ففى سنة 1882 اتفقت بريطانيا وفرنسا على غزو
مصر وأبحرت الأساطيل البريطانية والفرنسية فعلا الى
مصر. . ولكن بريطانيا على غير مألوف عادتھا فى المكر
والخيانة استطاعت. أن تقنع الاساطيل الفرنسية بالعودة ،
لكى تنفرد بريطانيا بالفريسة .. وفعلا عادت المراكب
الفرنسية من عرض البحر المتوسط .. وجاءت المراكب
الانجليزية وحدها الى الاسكندرية ..

وقصة الانذار الفاجر الذى أرسلته فرنسا وبريطانيا الى
، مصر يوم 30 من أكتوبر سنة 1956 والذى وصفه عضو
من أعضاء مجلس العموم البريطانى بأنه " عمل قذر " ، هى
نفس قصة الأنداز الذى أرسل الى قيادة الجيش المصرى
سنة 1882من الأسطول البريطانى المعتدى ، الذى كان يقف
فى مياه الإسكندرية....

ففى سنة 1882 طلب الانجليز فى انذارهم نزع سلاح الطوابى التى كانت تحمى الاسكندرية .. والسماح لهم باحتلال المدينة..

وفى سنة 1956 طلب الإنجليز فى انذارهم ، السماح لهم باحتلال بورسعيد ، والاسماعيلية ، والسويس .. وأشركوا معهم اسرائيل فى احتلال سيناء المصرية ..

وفى سنة 1882 رفضت قيادة الجيش المصرى الانذار.. وبدأ القتال ..

وفى سنة 1956 رفض الرئيسى جمال عبد الناصر الإنذار . . وأعلن أن مصر ستحارب الى آخر قطرة من دمائها..

نفس الهدف

وفى سنة 1882 كان هدف بريطانيا ، هو السيطرة على مصر من أجل الاحتفاظ بقناة السويس . ومن أجل الاحتفاظ بالمركز الاستراتيجى الخطير الذى تقوم فيه مصر من هذا العالم . .

ومن أجل تثبيت دعائم الاستعمار البريطانى فى أفريقيا وآسيا، وتأمين عملية امتصاص دماء الشعوب، لكى يبنى المجتمع البريطانى .. وينعم البريطانون فى جزيرتهم بالملذات والسيجار ..

وفى سنة 1956 كان هدف بريطانيا، هو السيطرة على مصر . .

من أجل إعادة سيطرتها على قناة السويس ..

ومن أجل الاحتفاظ بالمركز الاستراتيجي الخطير الذي تقوم فيه مصر من هذا العالم ..

ومن أجل تثبيت دعائم الاستعمار البريطاني الذي أخذ ينهار بسرعة في آسيا وأفريقيا ، وإعادة السيطرة على العرب الذين بعثت قوميتهم العربية فجأة كالمارد الجبار ، وأصبحوا يكرهون ويحتقرون بريطانيا وهيبتها المزعومة ..

ومن أجل محاولة امتصاص دماء الشعوب .. من جديد، بعد أن تنبعت هذه الشعوب ... وأصبح الشعب البريطانى مهددا بالحرمان من الملذات والسيجار . . .

أن ذلك هو الأساس في المعركتين من وجهة نظر بريطانيا يا بنى . . فالأصل واحد . . وهو الاستعمار الكريه المسعور . .

أما من وجهة مصر فإن الأمر فى سنة 1956 كان يختلف تمام الاختلاف عن سنة 1882 .

فى سنة 1882 كان يحكم مصر الخديو توفيق بن عباس وكان هذا الرجل يتصف بالجبن والتردد، فضلا عن كونه أجنبيا عن مصر (تركى) وعميلا لفرنسا وبريطانيا.. فقد أجبرت بريطانيا أباه أسماعيل على التنازل عن العرش ، والرحيل عن مصر حيث استقر فى ايطاليا الى أن مات بها ، وجائوا بهذه الدمية " توفيق " فنصبوه خديويا على مصر لكى يأتمر بأمرهم و ينفذ مشيئتهم.

وقد أجمع المؤرخون على ضعف شخصية توفيق،
وتخاذله وارتمائيه فى احضان بريطانيا وفرنسا ، من أول
لحظة لدرجة إنه كان لا يبرم أمرا من أمور الدولة الا
والقنصلان الفرنسى والبريطانى عن يمينه وعن شماله.

وعندما اقتحم عرابى باسم الجيش المصرى سراى
عابدين سنة 1882 لكى يقدم طلبات الجيش المصرى
والشعب ، وجد الى جانب الخديو القنصل البريطانى سير
ادوارد ماليت . وسجلت الى يومنا هذا صورة عرابى وهو
يناقش الخديو وإلى جانبه القنصل البريطانى .

عمك المصرى العربى

أما فى سنة 1956 فإنه يحكم مصر يا بنى عمك جمال
عبد الناصر .. وهو المصرى العربى ..
فهو من اسبوط فى صعيد مصر ومن قبيلة " بنى مر "
العربية وقد تكون لحمه هو واجداده من تراب مصر،
وأمتلات عروقه بالدماء الحارة من نيل مصر ..

وجمال عبد الناصر ، عمك يا بنى الذى سميتك عئى
اسمه ، وصديقى ، ورئيسى ، الذى أحبه واحترمه منذ ؟ أن
كنا ضابطتين صغيرين فى منقباد سنة 1938 .

عمك جمال هذا يا بنى ، يمتاز بالاقدام ، والايمان بمصر
، واستقلالها ، وكرامتها ايمانا صلبا عنيدا ، كنت ألمسه منذ
حدثنا فى معاملته لنا نحن أصدقاءه ، وفى معاملته أيضا

للضباط العظام الذين كانوا رؤساءنا .. وفي معاملته لأفراد
البعثة البريطانية التي كانت مفروضة على جيشنا . .

الفلاحون العبيد

وفي سنة 1882 كان الشعب المصرى يعانى من الخونة
المأجورين ، فقد كان هناك فى الجيش ضباط أتراك
وأرناعوط لا يحسون باحساس مصر، بل يعتبرون انفسهم
من طينة الخديويين و الحكام .. اما الشعب فكاتوا يصفرونه
بالفلاحين عبيدهم.. وقد كانوا يطلقون على عربى " الفلاح "
لأنه مصرى . ولم تكن مناصب القيادة من حق الضباط
المصريين ، ولا كان من حقهم أيضا الحصول على رواتب
مثل غيرهم من الضباط الأجانب .

أما من ناحية الشعب، فقد كانت المناصب والحكم وفقا
على الأتراك والأجانب من دون المصريين " الفلاحين " وكان
السياسيون الذين يتقلدون المناصب ، من هولاء الخونة
الاجانب عن الشعب .. أما أبناء البلاد ، فلم يكن لهم صوت
أو نصيب فى أمر بلادهم .

و حين قررت انجعية التشريعية المصرية أن تمارس
سلطاتها كاملة باسم الشعب فى الرقابة على الحكومة ، والميزانية
ومقاومة التدخل الاجنبى من فرنسا وبريطانيا الذى كان يتمثل فى
اشراف ثنائى على مالية مصر كان هو الخطوة الأولى لفرض
استعمارها ، او عز قنصلا فرنسا وبريطانيا إلى الخديو توفيق "
الدمية " بتعطيل هذه الجمعية والغائها .. تم تلا ذلك الضدخا! ا
احس!س لى سنة 1882.

وبريطانيا وفرنسا هما أصمحاب نظرية الديموقراطية ومن
أقطاب ما يسمى بالعالم الحر .

أما فى سنة 1956 فان الشعب المصرى لم يكن من بينه
خائن ولا عميل ..

فانه بعد قيام ثورة 23 يوليو سنة 1952 تطهرت
الحياة السياسية من الزعماء والاحزاب الذين نشأوا فى
أحضان الاحتلال البريطانى .. وبعد ثلاث سنوات تمكنت
الثورة من تحقيق المبدأين الاول والثانى لها وهما :
- القضاء على الاستعمار واعوانه من الخونة..
- القضاء على الاقطاع .

ولقد تم القضاء على الاقطاع بعد أن أنهت الثورة حكم
أسرة محمد على وأعلنت الجمهورية..
وتم القضاء على الخونة بعد أن قضت الثورة على
الاقطاع وعندئذ سهل القضاء على الأستعمار الاجنبى بعد أن
فقد أعوانه من الخونة داخل البلاد ، ومن الحكام من أسرة
محمد على الاجنبية وبطانتهم وأتباعهم . .

أن الاستعمار لا يعيش أبدا يابنى إلا على الخيانة
والاقطاع ، والحكام الذين يبيعون أنفسهم وبلادهم لقاء
المنفعة والجاه والسلطان .

الأيدي الأجنبية العابثة

وفى سنة 1882 كانت مصائر شعبنا فى أيد أجنبية
تعبت بها كيف تشاء .

فمن الوجهة القانونية كانت مصر ولاية عثمانية تتمتع
بنوع من الأستقلال الذاتى ولكن الواقع كان أسوأ من ذلك
بكثير فشعبنا فى صراع مع الطغاة والمستعمرين والطامعين،
منذ فجر التاريخ .. .

ان المركبة التي انتهت فى بورسعيد بهزيمه فرنسا وبريطانيا محرقة يرجع تاريخها الى نهاية القرن الثامن عشر حين جاءت فرنسا سنة 1798 تغزو مصر فقد كانت أحلام السيطرة على مصر مفتاح الشرق صاحب الكنوز والخيرات تداعب نابليون الذى لم يلبث ان أغار على مصر. أما بريطانيا .

فقد جات تغزو مصر سنة 1956 بقصد الاستيلاء عليها لتحقيق الاغراض التي كانت تريدها فى سنة 1807، وسنة 1882، وهى تثبيت استعمارها الجشع ، وتأمين عملية امتصاص دماء الشعوب .

وقد كانت مصر فى القرنين الثامن والتاسع عشر ولاية عثمانية تابعة للامبراطورية التركية ، ولكن هذا لم يكن ليمنع فرنسا ولا بريطانيا من انتهاز كل فرصة للسيطرة على مصر، بل ان تبعية مصر للامبراطورية العثمانية ، كانت تسهل لهما دائما تحقيق الاطماع فى السلم والحرب على السواء ..

الماضى يعود

وكأنما يعيد التاريخ نفسه يابنى سنة 1956 ، فان الاساطيل الفرنسية البريطانية التي أغارت على بورسعيد ، كانت تحتمى فى الموانى التركية ، لكى تتجنب عيوننا التي كانت مفتحة على قبرص حيث كانت توجد قواعدهم .. تماما كما كانت تحتمى بريطانيا بالخليفة العثماني لكى يصدر لها الاوامر الى مصر بتنفيذ كل ما تريده هى وفرنسا .

بل وأكثر من ذلك ، فان بلاط الخليفة العثماني صاحب الولاية على مصير شعب مصر كان يخضع تماما لاوامر

بريطانيا وفرنسا ومشورتيهما فى كل ما يتعلق بمصر .
وكانت ولاية هذا الخليفة على مصر اسمية فقط ..

أما الحقيقة فكانت هى أن مصير شعب مصر، كان دائما رهنا لأشارة ونصائح بريطانيا وفرنسا .

والامثلة على ذلك كثيرة ومتعددة عبر التاريخ ..

وكانت بريطانيا وفرنسا تلجأ فقط الى استعمال القوة مجتمعين اذا كانت مشورتهما لا يؤخذ بها، أو يفقدان سيطرتها على مصر من خلال الخليفة العثمانى، كما حدث فى موقعة نافرين .. وفى سنة 1882 حينما ارسلت الدولتان أساطيلهما تخلف الاسطول الفرنسى من عرض الطريق، وكمل الاسطول الانجليزى المهمة لحساب بريطانيا..

اما فى الحالات التى كانت تلجأ كل دولة منهما الى استعمال القوة منفردة بقصد السيطرة على مصر كما حدث فى سنة 1798 بالنسبة لفرنسا ، وسنة 1807 بالنسبة لبريطانيا، فقد كان ذلك يحدث دائما نتيجة لخلاف بين الدولتين وتعارض بين أطماعهما ..

دور تركيا لم يتغير

تخرج من هذا يا بنى الى أن أطماع بريطانيا وفرنسا فى مصر قديمة وعميقة ولم يكن يحد منها أو يوقفها تبعية مصر للأمبراطورية العثمانية . . بل على العكس من ذلك ،

كانت هذه التبعية مما يمكن للدولتين احكام سيطرتهما على مصر .

فاذا اتفقت الدولتان عملتا مجتمعتين ضد مصر..
وإذا اختلفت الدولتان عملتا كل على حدة أيضا ضد مصر..

ودور تركيا فى كل الحالات ، وخالى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، هو نفس دورها فى سنة 1956 فى خدمة الدولتين المستعمرتين ، وخدمة الاستعمار بصفة عامة.

عملية الافقار

بل ان الامر تطور إلى ما هو أشد بشاعة من ذلك فأن فرنسا وبريطانيا فرضتا علنا سيطرتهما على مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بحجة الدين الذى اقرضوه . للخديو اسماعيل، وكانوا يستغلون فى ذلك سفه ذلك الخديو وأستهتاره . فأوعزوا الى المرابين من فرنسا وبريطانيا باقراضه ؟ المال بالفوائد الجسيمة ، حسب خطة منظمة ، انتهت بأن أفلست الخزانة المصرية .

ففرضت الدولتان سيطرتهما عن طريق ماسمى بصندوق الدين الذى كانت له الولاية ليس على مالية مصر وحدها، وانما على مصير الشعب المصرى سياسيا واقتصاديا، واجتماعيا ..

وبدأت منذ ذلك الوقت عملية افقار هذا الشعب وتأخيرها ومنعه من العلم والتقدم ، على يد بريطانيا وفرنسا بعد أن كانت تتم قبل ذلك على يد تركيا العثمانية .

وهكذا كانت مصائر الشعب المصرى ملكا للعابثين
الاجانب فى فرنسا وبريطانيا ، وحليفتهما تركيا سنة 1882.

تغير الحال

أما فى سنة 1956 فان الحال بالنسبة لمصر كان قد
تغير على صورة حاسمة لم يحاول أن يفهمها أولئك
المستعمرون فقد اخفى الجشع والغدر الحقائق عنهم .
فمصائر شعب مصر لم تعد فى يد بريطانيا وفرنسا ولا
تركيا.. ولا الثلاثة مجتمعين، وانما عادت لصاحبها شعب
مصر ...

فانه بعد قيام ثورة 23 يوليو سنة 1952 تغير وجه
التاريخ الى الأبد بارادة الشعب، ونظرة واحدة الى مبادئ
الثورة يا بنى التى نبتت من صميم قلب كل مصرى ، بعد
ذلك التاريخ الطويل من المظالم والسيطرة الأجنبية ، تعطيك
الفكرة الصحيحة عما حدث فى مصر يابنى... وكيف عادت
السيادة على مصر الى يد شعب مصر..

أن هذه المبادئ التى سجلها الشعب فى دستوره الذى
أصدره فى 16 يناير سنة 1956 هى:

- 1 – القضاء على الاستعمار وأعدائه من الخونة ..
- 2 – القضاء على الاقطاع .
- 3 – القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم .
- 4 – تطبيق العدالة الاجتماعية .
- 5 – إقامة جيش وطنى قوى .
- 6 – إقامة حياة ديموقراطية سليمة .

وهكذا حدد الشعب المصرى أهدافه يا بنى .. وبدأ
ممرسته ضد أعدائه فى أيمان ، وتصميم ، وعنف. ولم تمض

سنوات ثلاث ، حتى كانت الإنتصارات تتحقق لهذا الشعب،
وحتى أخذت عجلة الثورة تطحن فى طريقها كل العقبات ..

ولم يكن الطريق سهلا ولا ممهدا يا بنى ..

فاننا لم نكن نواجه العقبات فقط من الرجعيين وأنصار
الحكم الفاسد ...

وانما واجهناها أيضا من داخل الثورة نفسها . . حينما
خرج على مبادئها الجنرال محمد نجيب . . وهو الرجل الذى
اخترناه أول الامر لقيادتها . . ففضل ان يتعامل مع الرجعيين
أعداء الثورة .. وكادت المسألة تنتهى بكارثة ، لولا يقظة
عمك جمال عبد الناصر ..

وعمك جمال . . هو الذى إصر بادية الأمر على ان
يتنازل عن قيادة الثورة لمحمد نجيب .. برغم أن عمك جمال
كان منتخبا رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، باجماع أصوات
أعضاء مجلس الثورة ، من قبل أن تبدأ الثورة .. ومن بعد
أن قامت ، وسأحكى لك القصة فى الفصول القادمة .

ان تاريخ السنوات الاربع لتي تلت قيام الثورة ، الى
انتخاب عمك جمال رئيسا للجمهورية باجماع شعبى هائل ،
هذا التاريخ يابنى.. هو ماسارويه لك فى الفصول القادمة
لكى تعرف انت والجيل الذى تنتمى اليه قصة الصراع الجبار
بين الحق والباطل . . وبين المثل العليا والاحتلال .. وبين
شعب أعزل الا من الايمان بحقه وسيادته ، والاستعمار
المتجبر المغرور بقوته وجبروته ..

وقد كان أول مبدأ من مبادئ الثورة .. هو القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة فانه من المستحيل أن يتم اى اصلاحا او تقدم لشعب من الشعوب ، وهو يزرع تحت أعباء سيطرة أجنبية ، ايا كان لون هذه السيطرة.. والاستعمار على خبثه وكونه افتك سلاح يدمر حياة الشعوب وأمنها، وسلام العالم كله ، فانه يتطور ايضا فى أساليبه المجرمة شأنه شأن أى ظاهرة من الظواهر . .

وفى كل أسلوب يتخذ له اسما . . وتتعد الاسماء والاساليب . . ولكن الهدف واحد .. هو الجشع وهو الفتك بالشعوب ، والجماعات .. وإشاعة القلق والرهبه فى هذا العالم . . لكى ينزف المستعمرون دماء الابرياء فيقيموا عليها رفاهيتهم ومذاتهم ...

كان اسمه شركات أجنبية تحصل على امتيازات . . .

وتطور الى احتلال عسكري بالجنود والمعدات ..

ثم تطور الى حماية ..

ثم أطلقوا عليه انتدابا ..

وعادوا فقالوا وصاية ..

ويسمونه اليوم بالأحلاف ..

ولقد ابتلى شعبنا يا بنى فى فترات كثيرة ، بأشد هذه

الأساليب فتكا وتدميرا .. على يد بريطانيا وفرنسا فى تاريخنا

القريب ..

عرفنا الحماية على يد بريطانيا ..

وعرفنا الاحتلال أيضا على يد بريطانيا..

وعرفنا الشركات الأجنبية التي تحصل على امتيازات ،
فتصبح دولة ذات سيادة داخل الدولة ، على يد بريطانيا
وفرنسا كشركة قناة السويس المصرية .. وهي التي اتخذت
بريطانيا وفرنسا تاميمها ذريعة للهجوم على مصر، من أجل
تحقيق أهداف الاستعمار والسيطرة التي قضت عليها الثورة
نهائيا في سنوات قليلة بالنسبة لمصر، وبالنسبة لامتنا
العربية على حد سواء ..

ان قصة هذا العدوان الذي قامت به فرنسا وبريطانيا
وإسرائيل على مصر بتدبير دنيء غادر تحت ستار شركة
قناة السويس ، لم تعد قصة كفاح الشعب المصرى وحده،
وانما أصبحت ملكا لكل الشعوب الصغيرة التي أبتليت
بالاستعمار وتكافح من أجل التحرر . .

انها أصبحت قصة فضيحة أولئك الذين كانوا يسمون
أنفسهم بالكبار .. فعرف العالم كله انهم كبار فى الاجرام
والغدر ، والخيانة .. وكبار فى أساليب النذالة ، وهدم
البيوت على الآمنين وقتل النساء والفتك بالاطفال ...

انها قصة من كانوا يسمون أنفسهم بزعماء العالم الحر
.. فعرف الناس أن الحرية فى نظرهم هى :
التحرر من كل مبادئ الشرف والعدالة . .
والتحرر من القيم الإخلاقية . .

والتحرر مما تحرص عليه البشرية الى يومنا هذا من قيم

أنسانية تحفظ على الناس انسانيتهم ، فل ينحطون إلى
مرتبة الحيوان . .

عرف العالم كل هذا يا بنى عن زعماء ما يسمى "بالعالم
الحر " بعد معركة سنة 1956 فلم تكن هناك قوة تستطيع
أن تخفى هذه الحقائق عن الشعوب . .

وعرف العالم أيضا عن مصر.. أنها صدت تيار البربرية
التي ارادت أن تعود بالعالم الى شريعة قطاع الطرق وحكم
الغاب.. ليس عن نفسها فقط وانما عن كل الشعوب الصغيرة
كما خط في لوح القدر

كيف حدث هذا ؟..

اننى أكتب لك يا بنى هذه الصفحات وأنا أحس أننا نعيش
اليوم فى فترة تطور حاسمة من تاريخ العالم ، لن تراها
يا بنى.. ولكنك ستقرأ عنه . . وسيتخذ منها المؤرخون ،
نقطة انطلاق تسجل بدء تاريخ جديد لهذا العالم.. تاريخ
جديد فى كل شىء ..

وأخطر شىء فى هذه الحقبة.. هو أن الشعوب اليوم،
هى التى تملى هذا التاريخ وتكتبه بارادتها ، وكفاحها
ودمائها . . بعد أن كان يكتبه أولئك الكبار بالقهر والسلب
لارادة الشعوب . .

ولن تستطيع قوى أولئك الكبار بعد اليوم ، ان تقهر
ارادة الشعوب ثانية ، مهما كانت هذه القوى ..

لقد استيقظت الشعوب.. وحطمت ذلك الستار الحديدي
الذي فرض على حدودها وعلى ضمائرنا وعلى أرزاقها
ومقدراتها ..

وأصبحت الشعوب لا تؤمن بغير التعايش السلمى ، من
غير أن يتدخل أحد فى شؤون الآخر أو يسلبه رزقه أو
أرضه..

عالم تختار فيه الشعوب ما تريده لنفسها من نظم بملاء
حريتها ..

عالم لا تحرق فيه المحاصيل فى بلد ، ويموت من
الجوع الملايين فى البلد الآخر . .

عالم لا يفرق بين الجنس أو اللون أو العقيدة . . ولا
يعترف بسيادة لون أو جنس على الآخرين ..

عالم لا يرث أحقاد القرون . الماضية التى فتكت
بالبشرية ، وسببت الحروب . .

عالم يستأصل الاستعمار من جذوره.. لأنه وراء الاحقاد
والشروع والحروب والقلق الذى يشقى الإنسان .

كيف حدث هذا يابنى ؟ . .

الفصل الثالث

- كيف حدث هذا يا بنى ؟
- ثورة 23 يوليو والثورة الأخرى
- شخصية عمك جمال

كيف حدث هذا يا بنى؟

لم أتوقع ان امسك بقلمى لكى اسطر لك هذه الكلمات
وعمرك على الأرض لم يتجاوز الشهرين ..

ولقد حدثتك يا ولى فى الفصل السابق من المذكرات
عن أسلحة حلف الأطلنطى التى جاءت مصر لتخلع عمك
جمال ، وسردت لك تاريخ أقدم وثيقة لاعلان حقوق الألسان
وقد كتبت فى مصر .

وحدثتك عن الدروس القاسية التى تعلمتها فى القرية . .
وجدتى ، والمشهد الذى تكرر بمد أربعة وسبعين عاما ،
وقصة الإنذارين اللذين رفضناهما .

وقلت يا ولى ان الطريق لم يكن سهلا ولا ممهدا .. لاننا
كنا نواجه عقبات من الرجعيين .. ومن داخل الثوره
نفسها . .

وذكرت لك يا ولى كيف خرج الجنرال محمد نجيب على
مبادئ الثورة.. وهو الرجل الذى اخترناه اول الامر
لقيادتها .. ولكنه يا ولى فضل ان يتعامل مع اعداء الثورة..
وكادت المسألة تنتهى بكارثة لولا يقظة عمك جمال
عبدالناصر ..

وقلت لك يا بنى اشياء كثيرة .. وحدثتك عن العالم الذى
لا يرث أحقاد القرون الماضية والقلق الذى يشقى
الانسان .

كيف حدث هذا كما قلت لك فى نهاية الفصل السابق
يابنى هذا ما سأروييه لك الان ، ولن تكون روايتى تاريخا أو
مذكرات وانما هى كما قلت لك احساسات وانفعالات هى اقرب
ماتكون إلى الذكريات منها إلى المذكرات ..

فالكى تستطيع ان تعرف ماحدث ، يجب ان تلم يا بنى
بأمرين، الأمر الاول هو ثورة 23 يوليو ، والأمر الثانى هو
شخصيه عمك جمال عبد الناصر، وسترى يابنى ان
الحديث عن الثورة واهدافها واحداثها طوال الفترة التى
أنقضت منذ بدئها فى 23 يوليو سنة 1952 الى هذا اليوم
الذى اكتب لك فيه هذه الصفحات فى شهر يناير سنة 1957 ،
اقول سرى يابنى ان الحديث عن الثورة لابد وان يعود بنا
فى كل صغيرة وكبيرة إلى شخصية عمك جمال ، وسترى،
أيضا يابنى أن الحديث عن شخصية عمك جمال سيعود بنا
دائما إلى فطرة شعب مصر ومقوماته وخصائصه فى القرية
والحقل كما هى فى المصنع والمدينة ، هذه المقومات وتلك
الخصائص التى هزمت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وردت
عدوانهم وهم الذين كانت لديهم أحدث الأسلحة والادوات
التى أعدت للحرب والخراب والدمار ..

حديث شيق

ان حديث ثورة 23 يوليو يابنى حديث شيق على مافيه
من قسوة وشجى وبرغم مافيه من الوان الصراع ، صراع
من قبل ان تبدأ الثورة فى الداخل ، وهو اليوم حديث العالم
كله فى الخارج . .

وكما سبق أن قلت مرارا من قبل يابنى ، فان ثورة 23 يوليو حدث تاريخى له شخصيته المستقلة تمام الاستقلال عن كل ما سبقه من ثورات مماثلة، وله طابعه ومميزاته التى لن يستطيع ان يدركها الا من عاش فى البيئة المصرية او تعرف عليها عن فهم ودراسة . .

وفى هذا القرن الذى نعيش فيه حدثت ثلاث ثورات كانت كلها تكاد تكون مؤدية بعضها الى البعض ، فبعد الحرب العالمية الاولى ، وعلى اثر الهزيمة التى منيت بها تركيا، قام ممطفى كمال اتاتورك بثورته المشهورة لكى يجدد شباب تركيا . .

وايا كانت الوسائل التى اتبعها ، وايا كانت ايضا طريقة فهمها لبعث تركيا ، فان مصطفى كمال استطاع خلال فترة حكمه أن يرسى قواعد كثيرة لنهضة تركيا وقوتها واستقلالها الذى يفرط فيه حكام تركيا اليوم على صورة مؤسفة . .

ثورة موسولينى

وجاءت ثورة موسولينى فى إيطاليا الثانية فى الترتيب بعد ثورة تركيا ، وهى قد قامت - اى الثورة الفاشستية الايطالية - عقب الهزيمة فى الحرب العالميه الأولى ايضا..

والذى يهمنى فى هذا المقام هو ماصرح به موسولينى مرارا واثبته المؤرخون من ان ثورة ايطاليا الفاشستية إنما كانت نهجا من المدرسة الكمالية أى مدرسة كمال أتاتورك ..

ثم كانت الثورة الثالثة في المانيا بقيام هتلر، وهو الذى لم يكن يخفى - على الاطلاق - اعجابه بموسوليني وثورته بل ان "هتلر لا يفتأ يعلن ان موسوليني هو استاذة الذى سار على نهجه وتتبع خطاه .

تخرج من هذا الاستعراض المبسط يا بنى بنتيجة هي ان هذه الثورات التى وقعت فى النصف الاول من هذا القرن انما كانت كلها من مدرسة واحدة .

ولكنك حين تأتى يا بنى الى ثورة 23 يوليو المصرية والتى وقعت فى مستهل النصف الثانى من هذا القرن فانك تجد عملا جديدا ، بل منفصلا تمام الانفصال عما سبقه من ثورات وقعت من قبله فى نفس القرن العشرين ..

وهناك ثورة أخرى وقعت قبل تلك الثورات الثلاث يا بنى فى نفس هذا القرن وخلال الحرب العالمية الأولى وهى الثورة البلشفية فى روسيا ولم اشأ أن أجعلها من تلك الثورات الثلاث اللاحقة لها لانها مدرسة قائمة بذاتها فى وطن له ظروفه التى شكلتها محنته وألامه ..

الا ان الباحث يرى ويلمس يا بنى أنه ما من شك فى ان هذه الثورات الثلاث على أختلاف ظروفها كانت تستهدف اول الامر مصلحة الشعوب التى قامت فيها ، ثم جاءت بعد ذلك الأتحرافات ، ففشلت أثنان هما الفاشستية فى ايطاليا والنازية فى المانيا وتتعثر اليوم الثالثة فى تركيا . .

ثورة 23 يوليو والثورات الاخرى

وأعود الى ثورة 23 يوليو فأقول : ان هذه الثورة حدث جديد تماما يا بنى عما سبقه من أحداث فى نفس القرن من عمر الزمان ، واسباب هذا الاختلاف ترجع فى أساسها الى ان ثورة 23 يوليو هى الاخرى مدرسة قائمة بذاتها استمدت كل مقوماتها من طينة شعب مصر وظروفه وعاداته وأخلاقه.

وسبب آخر؟ أساسى له عمقه ومعزاه هو ان ثورة 23 يوليو اتخذت من المثل العليا شعارا تمسكت به وحافظت عليه برغم ما سببه ذلك التمسك من تعويق لسير هذه الثورة واندفاعها فى وقت من الاوقات .

ولنأخذ مسألة قيادة هذه الثورة على سبيل المثال ، فنحن لا نعلم فيما نعلم من تاريخ الثورات فى هذا القرن أو فيما سبق من قرون ان قائد ثورة من تلك الثورات يتنازل عن مركزه كقائد بمحض ارادته ليدفع برجل آخر الى قيادة هذه الثورة ، ولا يكتفى بذلك بل يخدم تحت إمرة هذا الذى دفعه جنديا شريفا مخلصا .

عيوب مصطفى كمال

ان ما نعلمه عن تاريخ الثورات هو عكس ذلك على خط مستقيم ، فقد كان قواد الثورات ولا يزالون يخلون لانفسهم الطريق بالقتل والاغتيال والإرهاب .

فالتاريخ يقرر مثلا ان من عيوب مصطفى كمال أتاتورك المشهورة هو انه لم يبق على زميل أو صديق عاونه الا وقتله .

والتاريخ يذكر أيضا حمام الدم الذى خاضه هتلر
بنفسه وبيده .

وموسولينى أيضا لم يمتنع عن القتل الا حين قتل...!!

وجهة نظر الجيش كله

اما فى هذه الثورة – ثورة 23 يوليو يا بنى – وهى
الى أخذت نفسها بالمثل ، فاننا نرى جمال عبد الناصر
الرئيس المنتخب للهيئة التأسيسية للضباط الاحرار سنتين
متتاليتين يسعى قبل قيام الثورة الى اقناع الهيئة بضرورة
تنصيب قائد للثورة من خارج الهيئة لظروف واعتبارات قدر
انها لمصلحة الوطن فى الوقت الذى يعلم فيه جمال انه أجدر
عن يقوم بها سواء من وجهة نظر الهيئة التأسيسية التى
انتخبته رئيسا او من وجهة نظر الجيش كله ..

ولم يكتف جمال بذلك ، بل انه بادر عقب انتخابه للمرة
الثالثة رئيسا بالاجماع بعد قيام الثورة وطرد فاروق أقول
بادر فتنازل الى محمد نجيب عن هذه الرئاسة وألح على
الهيئة التأسيسية حتى قبلت هذا الوضع .

لماذا . . لماذا ؟

ويحق لكل انسان أن يسأل اليوم يا بنى لماذا تصرف
عمك جمال على هذا النحو ، فالعالم يجرى على سنن غير
هذه السنة ، ونواميس الناس اليوم لا تعقل أو تفهم مثل هذا
التصرف...؟

وهنا لا بد لي من أن أكشف عن جانب من جوانب شخصية جمال عبد الناصر وهو أمر لا بد لنا أن نسترشد به طول الحديث يا بني كما قلت لك في هذا الفصل .

شخصية عمك جمال

فقد ذكرت في أول الفصول السابقة ان الهيئة التأسيسية وافقت قبل قيام الثورة على تعيين قائد مسن للثورة من خارج الهيئة الا واحدا عارض في هذه الخطوة هو أبوك الذى يكتب لك هذه السطور، وقلت أيضا انه كان هناك ثلاثة مرشحون اختير منهم محمد نجيب ، وبعد أن صدر هذا القرار أذكر اننى اجتمعت على انفراد بعمك جمال فى شقته بكوبرى القبة وأخذت أتناقش معه وابدئ له تخوفى الشديد من تسلم رجل غريب لقيادة الثورة التى لم تبدأ بعد وكان محور خوفى ان الرجل بحكم سنه وعقليته وجيله الذى نشأ فيه لن يستطيع أن يفهم العمل الثورى ولا يرجى منه بعد هذه السن أن يعيش بعقلية غير عقليته مما يشكل خطرا جسيما على الثورة خصوصا عند البدء .

النفس البشرية

وأذكر انه بان على عمك جمال انه اقتنع وأخذ ينفث دخانه سيجارته على عادته حين يكون مستغرقا فى التفكير ثم لم يلبث انه قطع الصمت قائلا :

" يجب أن تحسب حساب النفس البشرية . . "

ولم أفهم أوله الامر ، ولكن عمك جمال لم يلبث أن
أستطرد قائلا :

" نحن جميعا فى الهيئة التأسيسية زملاء وفى سن واحدة ،
ورتبنا تكاد تكون واحدة ، والذى جمعنا فى هذا العمل هو
الصدقة أولا ثم الاخوة والمحبة اللتان ولدتا الثقة بدليل اننا
نتأمر ليل نهار ولا يحس بنا أحد ، وأخشى ما أخشاه اننا اذا
جعلنا قيادة الثورة فينا أن يفتح هذا الأمر ثغرة فى نفس
واحد منا ونحن بشر، والنفس البشرية مليئة بالانفعالات ،
وأنا لا أريد أن يكون مستقبل الوطن معلقا على الانفعالات ،
بل لا أريد أن أفرض احتمالا واحدا فى الالف فيه شك من
انفعال فى نفس أى واحد فينا لأن المسئولية مسنولية
مستقبل شعب ، وبالثقة والمحبة نستطيع. أن نحقق
المستحيل "

وهكذا وضع عمك جمال شعار المثل العليا موضع التنفيذ
من قبل أن تبدأ الثورة يا بنى .

وهكذا كان عمك جمال وما زال وسيظل يحسب حساب كل
شياء مهما كان مستبعدا يا بنى ، لذلك انهزم وانهار أمامه
ايدن الذى قضى ثلاثين عاما يصرف السياسة الدولية
ويتحكم فى مقادير البشر وكانوا يعتبرونه استاذا من أساتذة
هذا الفن .

ولهذا عرف الساسة فى أمريكا وفى العالم كله أن ذهب
العالم كله لا يشتري فى مصر لا المثل ولا المبادئ .

مغزى عميق

ولهذا عادت العزة وعاد الشرف القومى لشعب عريق بل لمنطقة بأسرها، منطقة يسكنها قوم كان المستعمرون يسمونهم " عرب " كصفة تعنى الاحتقار والاشمئزاز، وبين يوم وليلة أصبحت كلمة " عرب " ذات مغزى عميق مخيف، مغزى يفخر به الاهل والإصدقاء ، ويرهبه القراصنة المستعمرون الأقوياء .

ولهذا أصبحت ثورة 23 يوليو قذى فى عين فرنسا أفقدها الوعي والرشد .

ولهذا فزع الانجليز وخرجوا على مألوف عاداتهم فى ادعاء الهيبة والوقار وأصبحوا وهم يصرخون فى هذيان جنونى كشف عن خيبه نواياهم الاستعمارية وانتهى بهم الى الافلاس والجوع .

والمعركة لم تنته بعد يا بنى حتى هذه اللحظة التى أكتب لك فيها هذه السطور ولكن عمك جمال لا يزال كما هو يحسب حساب كل شىء ويستلهم وحيه من روح شعب مصر البسيطة المسالمة ، وهى نفس الروح التى تحطم القيود وتنسف السدود إذا غضبت أو ثارت .

وقد انتصرت الثورة وانتصر عمك جمال فى كل معركة خاضها باسم الشعب ، إنتصر يا بنى على ادعاء الدين من المشعوذين ، وقضى على الاتجار بالسياسة ، وانتصر فى مارس سنة 1954، وانتصر فى أكتوبر 1956 ، انتصر يا بنى فى معركة الاحلاف ، وأنتصر فى معركة العروبة ، وانتصر

فى معركة تسللح مصر وانلصر فى معركة القناة ، وانلصر
فى معركة وحهة مصر وسورية وهو يكمل اليوم انلصاره فى
اتحاد الدول العربية . .
فلنبدأ يا بنى منذ البداية ..
أى من يوم 23 يوليو سنة 1952.

الفصل الرابع

- الانتصارات التي حققتها الثورة
- مظالم 600 سنة حطمها عبدالناصر
- ثورة 23 يوليو مدرسة للمث العليا

الانتصارات التي حققتها الثورة

كان من المتفق عليه في اجتماعات الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار ، التي تشكلت سنة 1951 ، أن يكون عام 1955 هو العام الذي تقوم فيه الثورة .

وأنا أقول يا بني كان من المتفق عليه لأن قرارا بذلك لم يصدر ، وإنما كان ذلك التقدير مبنيا على الحساب الدقيق ، الذي كان يحسبه عمك جمال كعادته يوما بيوم ، منذ أن تولى أمر هذه الثورة عام 1943 ، أي قرابة تسع سنوات كاملة .

وفي خلال هذه السنوات التسع ، استطاع عمك جمال يا بني أن يطور الفكرة من عمل حماسي لا يرتكز على تنظيم أو يقوم على مبادئ ثابتة ، إلى عمل ثوري متكامل . . يقوم على الوعي بدلا من الحماس . . ويرتكز على تنظيم محكم له أهداف محددة واضحة .

وكانت نظرية عمك جمال أن الثورة من غير تنظيم قوى يسندها ويشد من أزرها لن تكون لها ثمرة ، ولن يكتب لها البقاء . ز شأنها شأن أية معركة حربية ، لن يكتب لك الفوز فيها إلا إذا كانت جيوشك تستند بظهرها إلى ما يسمى فى الفن العسكرى " بالقاعدة الثابتة " وهى القاعدة التى تؤمن لك كل احتياجاتك من قبل المعركة وفى أثناءها ، بحيث تستطيع أن تضمن تدفق القوة وتجدها فى سرايين قواتك ، فى كل الظروف ومهما كانت الظروف .

وكان عمك جمالى يطلق تعبير " القاعدة الثابتة " على تنظيم الضباط الأحرار ، بعد أن فقد الشعب ثقته فى القادة والاحزاب وأخذ يتطلع فى أمل مكبوت الى قواته المسلحة ، أمله الوحيد الباقى نى الصراع من أجل حريته .

لذلك كان عمك جمالى يصر على أن يستكمل تنظيم الضباط الاحرار قوته كاملة ، قبل أن تنطلق منه الثورة .

ومن أجل هذه الاعتبارات ، تحدد مبدئيا عام 1955 لبد الثورة ..

ولكن الاقدار كانت قد أعدت تاريخا غير ذلك التاريخ ، ومهدت لذلك بسلسلة من الاحداث وقع أولها فى نهاية عام 1951 حينما ألغت مصر معاهدة التحالف مع بريطانيا . وأذكر يابنى أن الهيئة التأسيسية اجتمعت فى الأسبوع الاول من شهر يناير سنة 1952 فى منزل عمك حسن ابراهيم ، برئاسة عمك جمال عبد الناصر ، لكى تبحث الموقف الذى كان يتدهور بسرعة ، ويسوء يوما بعد يوم .

فبالرغم من أن تشكيل الضباط الاحرار كان يمد حركة المقاومة – التى قامت فى منطقة القناة ضد جنود بريطانيا عقب الغاء المعاهدة بالاسلحة والذخائر والضباط الا أن الصورة كانت قاتمة ، لان الوزارة الحزبية التى كانت فى الحكم وقتذاك لم تكن تعنى الكفاح والمقاومة ، بقدر ماتعنى المكاسب الحزبى ، هذا فضلا عن أنها لم تكن لتستطيع المضى حتى فى هذه المقاومه الكسيحة ، لانها ككل ورزاة

حزبية أخرى ، عبارة عن باشاوات كل همهم هو أن يؤثروا
السلامة مع الجاه ، والمنصب ، وجمع المال ، يضاف الى
ذلك أيضا أن ملك البلاد التي يقاوم شعبها جنود بريطانيا ،
جنرال فى الجيش البريطانى .

وكان أخوف ماتخافه ، هو أن ييأس الشعب بعد أن
توقفت المقاومة فعلا فى منطقة القناة فى مستهل 1953 بعد
أن سيطرت عليها الحكومة ، وبعد أن قتل شباب برىء فى
معاركها التي لم يكن لها خطة ولا تنظيم يضمن لها
الاستمرار والنجاح.. ويضاف الى كل ذلك ، حالة الفوضى
التي أصبحت تنذر بأخطر العواقب .

فالشعب كان يحقد على الملك ، ويحقد على الاحزاب،
وأصبح الحكم والحكومة ، هما أعدى أعداء الشعب .. ولن
يستفيد من كل ذلك إلا العدو الاجنبى الذى يتربص ببلادنا من
داخلها ، وهى بريطانيا التي عرفها العالم ، وعرفناها نحن
سيدة المؤامرات والذس واقتناص الفرص ، للسيطرة على
الشعوب من داخلها .

وفى هذا الاجتماع وبعد دراسة شاملة ، أصدرنا أول
قرار يا بنى بتحديد موعد قيام الثورة . . وكان شهر نوفمبر
1952 ، على أن يبدأ فى الحال بتعبئة كل قوى الضباط
الاحرار داخل القوات المسلحة ، لمواجهة أية أحداث قد تطرأ

وكانت أسباب اختيار شهر نوفمبر لقيام الثورة هي :

اولا : الاستفادة من تنقلات القوات التي تتم في شهر يوليو من كل سنة ، لكي تحشد في القاهرة وحدات كاملة من وحدات الجيش الموالية للحركة والتي كانت مبعثرة بين صحراء سيناء والاسكندرية ، وكان ضباط أركان الحرب الذين ينظمون هذه التحركات من الضباط الاحرار

ثانيا : أن يكون الملك والوزراء قد عادوا من مصيفهم الى القاهرة لكي تكون الضربة واحدة ، وكاملة ، وسريعة ، من غير حاجة الى معارك أو دماء .

وفي نفس هذا الاجتماع أيضا، كلف عمك عبد الحكيم عامر بعمل تقدير كامل للموقف ، وهو العمل الذي يتم دائما قبل اعداد أية خطة ، لانه عبارة عن دراسة دقيقة لكل شئ من وجهة نظرنا ومن وجهة نظر الاعداء الذين كان مفروضا أن نواجههم .

ومعذرة يا بنى اذا كنت أطيل عليك في ذكر هذه التفاصيل... ولكننى أراها ضرورية بعد ان وعدتك أن أبدأ منذ البداية ، وضرورية أيضا لكي تعرف أنت وجيالك شيئا عن طريقة عمك جمال عبد الناصر في معالجة الاحداث ، فكما قلت لك من قبل ، لن تستطيع أن تكون لنفسك فكرة حقيقية عن كل ما تم من غير أن تعود دائما الى شخصية

عمك جمال التي تجمعت فيها كل خيوط هذه الثورة من قبل
أن تبدأ ومن بعد أن قامت .

www.anwarsadat.org

وأعود إلى الحديث يا بنى فأقولى انه بعد أن اتخذ قرار
بدء الثورة فى سنة 1952 وصرف النظر عن عام 1955
للاسباب التى ذكرتها ، لم يضيع عمك جمال لحظة ، بل بدأ
يعمل ليل نهار . فهو يحضر الاجتماعات المستمرة للجبان
الضباط الاحرار فى مختلف أنحاء القاهرة ، ثم يعود الى
منزله فى ساعة متأخرة من الليل لا لينام ، وانما ليعد
محاضراته التى سيلقيها فى كلية أركان الحرب فى الصباح
والتي مايكاد يفرغ منها حتى يكون فى أنتظاره اجتماع
جديد فى مكتبه أو فى منزله ، وهكذا دواليك .

وراحت أيام شهر يناير سنة 1952 تمضى ، والحالة
تسوء يوما بعد يوم .. الى أن كان يوم 25 يناير الذى
ضربت فيه قوات بريطانيا المسلحة ، بأحدث الاسلحة
والمدافع ، دار المحافظة فى الاسماعيلية . . . حيث توجد
قوات البوليس المصرى المجردة من كل ، سلاح اللهم الا من
بنادق الحراسة القديمة ، وهدمتها فوق ضباط وجنود
البوليس البواسل الذين أبوا أن يسلموا كما طلب منهم قائد
الامبراطرية المظفر !

وكان رد الفعل مفاجئاً ومذهلاً فى اليوم التالى وخاصة بعد إن فقد الشعب ثقته فى الحكم – كما قلت لك – اذ احترقت مدينة القاهرة ، وعاشت العاصمة الجميلة فى فوضى مروعه لعدة ساعات الى أن نزل الجيش ، ولكن هذه الساعات كلفت العاصمة كثيراً من العناء ، حتى ان ايدن وهو يحاول أن يجد تبريراً لنفسه فى مهاجمة مصر بعد ذلك بأربع سنوات عام 1956 ، وقف يقول فى مغالطة صريحة ، انه يريد أن يحمى الممتلكات البريطانية وأرواح الرعايا البريطانيين .. حتى لا يتكرر ما حدث فى يناير سنة 1952 لكى يخفى هدفه الحقيقى هو ي وفرنسا شريكته الذى لم يكن حماية الرعايا، وانما هو اعادة السيطرة الأجنبية على مصر وعلى العرب . . وأغتصاب قناتنا .. والتخلص من عمك جمال عبد الناصر .

على أية حال ، مضى يوم 26 يناير صشة 1952 بحوادثه الحزينة وكانت هذه الحوادث من العنف بحيث فكر الملك وقتذاك فى الهروب من مصر .. وأعد قائمة بمن يريدونهم أن يستصحبوه فى هروبه وفتح بعضهم فعلاً .. وأعد حقائبه .

ووصلتنا هذه المعلومات.. وللمرة الثانية بدأنا نفكر فى تقديم موعد قيام الثورة لكى يكون شهر مارس 1952 بدلا من شهر نوفمبر سنة 1952، الا أن الامور لم تلبث أن بدأت تعود الى شبه استقرار . . مما دعا الملك لأن يعدل عن فكرته ، ليبدأ الفصل الاخير من حياته كملك.. ولكى يكتب الى الابد مصيره ومصير أسرته التى لم تستند فى حكمها لمصر يوما الا على قوة أجنبية .. سواء كانت تركيا أو فرنسا ، أو بريطانيا التى عبثت بكل مقدسات هذا الشعب الوادع الامين .

وفى بحر خمسة اشهر سقطت وقامت خمس وزارات.. كل وزارة منها تشتم أختها وتسب عرضها.. والملك لاه فى القمار والسهرات.. والشعب يعانى من هذا العبث الذى شمل مصيره وارزاقه ومقدراته.. وبريطانيا تقف من هذا المشهد موقف المنتصر الذى خرج من المعركة بكل الاسلاب .. وجاء شهر يوليو سنة 1952.

وصمم عمك جمال أن يجرب قوة التنظيم ، أو " القاعدة
الثابتة " فى " معركة " حقيقية.. لكى يعرف مدى صلابته .
وكانت معركة انتخابات مجلس ادارة نادى الضباط النى
خاضها تنظيم الضباط الاحرار بقائمة قد نجحت بكاملها..
وكان أول عمل لهذا المجلس هو أن تحدى الملك علانية ،
برفض ضم عضو اليه سقط رغم تزكية الملك له .

ثم جاء النصف الاول من شهر يوليو عام 1952..
وميعاد قيام الثورة لا يزال كما هو فى نوفمبر .

ولكن الاقدار عادت فغيرت هذا الحساب ايضا .

اذ ما لبثت الوزارة الخامسة ان استقالت يوم 19 يوليو
سنة 1952 .. وباستقالتها بدأت الاحداث تخلق موقفا جديدا.

اذ جاءت الانباء من الاسكندرية، بأن الملك سيعهد
بوزارة الحربية الى رجل من رجاله ، هو نفس الرجل الذى
سقط فى إنتخابات النادى رغم تزكية الملك له . . وكان
معنى هذا ان صراعا لا بد أن ينشأ بين تنظيم الضباط
الاحرار، وبين الوزير الجديد من أجل البقاء . .

وكان قرار بدء الثورة

وفكر عمك جمال يابنى بسرعة.. تماما كما فكر ساعة
أن سمع أزيز قاذفات القنابل البريطانية ، التى جاءت
لتضرب مصر فى مساء 31 أكتوبر سنة 1956 .. وكشف
من هذا الأزيز حقيقة المؤامرة الثلاثية على مصر. .

اقول فكر عمك جمال بسرعة ، وانتهى الى قرار هو أنه
إذا كان لابد من صراع ، فليكن هذا الصراع من أجل مصر
لامن أجل بقاء تشكيل الضباط الاحرار .
وكان قرار بدء الثورة .

عرفه أعضاء الهيئة التأسيسية الذين كانوا فى مصر
يوم 20 يوليو سنة 1953.

وحمله الينا فى سيناء ، عمك حسن ابراهيم ، الذى قام
بالطائرة لأبلاغه للاعضاء ، الذين كانوا هناك .
وكان نص القرار:

" تحددت الفترة من 22 يوليو الى 5 اغسطس سنة
1952 لبدء المشروع " .

وكان المشروع .. هو الثورة .

كن صادقا مع نفسك يا ولى

اردت يا بنى ان أذكر لك هذه التفاصيل ، لكى تعلم كيف
بدأت الثورة .. وكيف كان عمك جمال يسيطر على
الأحداث فيوجهها ولا توجهه .. وهو فى كل ما يصدر عنه ،

أو يفعل به ، انما يفكر اولا فى مصر، وانقاذ مصر، وبعث
مصر .

وقامت الثورة فى ليل 22- 33 يوليو سنة 1952.

ولا أريد أن أحكى لك هنا يابنى عن التفاصيل ساعة
بساعة ، فأنا لم أدون مذكرات .. لان ذلك لم يكن مستطاعا
فيما كنت أعيش فيه من ظروف ، وما كان يحيط بى من
أحداث .. لذلك فاتنى سأروى لك الحوادث بعد ذلك ، من
وحى ما طبيعته فى عقلى من احساسات ، وما عكسته على
وجدانى من انفعالات ، كما سبق أن قلت لك .. وهى قبل كل
شئ روية نفسى ، فان أصبت فليسى لى فضل، وان
أخطأت فليس على ذنب .. وان ما يعينى هو أن أحكى لك
نفسى كما تعودت أن أحكيها لكل من يقرأ لى سطورا
أو كلمات .. والعبرة عندى أن التزم حدود ما احسه ،
وينفعل به ضميرى ، من غير أن الجأ الى التزويق أو
الأفتعال .

ان أروع متعة بابنى فى هذه الحياة . . هى أن تكون
صادقا مع نفسك دائما .

بهذا الصدق لن تعرف نفسك العقد أو الأزمات، التى
اعترف لك اننى تعرضت لها فى حقبة من حياتى بعد الثورة
وانتصرت عليها وأنا استقبلها فى هذه الدنيا أثناء العدوان .

احرص يا بنى فى كل لحظة من حياتك ، على أن تكون
صادقا مع نفسك ، حتى تنعم دائما بالسلام الروحى.

من أجل ذلك أحبه..

وتعلم يا بنى أن تغفر للناس ، فإن اتعس لحظات يعيشها
انسان على ظهر هذه الارض هى تلك التى يملك النفس فيها
غضب أو حقد أو كراهية .
ولكن . . .

تعلم أيضا يا بنى بألا تغفر أو تتهاون أبدا مع من يعتدى
على وطنك .. فانك لن تعرف السلام أبدا ووطنك معتدى عليه
.. ولا كرامة ولا شرف لأى انسان ، اذا كانت كرامة وطنه
فى التراب ، أو كان شرف وطنه يداس بالاقدام .
من أجل ذلك ، نحن نحب عمك جمال ..

ومن أجل ذلك ، يكرهه المستعمرون المسعورون فى
بريطانيا وفرنسا ، وأدعياء السياسه فى أمريكا .

انى مهما وصفت .. فلن أستطيع أن أصور لك يا بنى
حياة الشقاء الذى عشنا فيه منذ مولدنا .. وكان يعيش فيه
آباؤنا وأجدادنا عبر القرون ، نتيجة للسيطرة الأجنبية .

فقد انتزعت ملكية هذا الشعب .. وأصبحت الارض ومن
عليها ملكا للوالى التركى أيام محمد على تحت حكم الاتراك ..
ومن قبل ذلك وأثناء الحملة الفرنسية ، استعبد الشعب ،

وهدمت بيوته ، وصودرت أرزاقه ، وحولت الجنود الفرنسية
جوامعه إلى أسطبلات للخيل ، ولم ينج من هذا المصير
الجامع الازهر نفسه ، لا لشيء إلا لأن نابليون كان ينافس
بريطانيا في الاستعمار واستعباد الشعوب .

ومن بعد ذلك . اتفقت بريطانيا وفرنسا طوال القرن
التاسع عشر على اغتصاب مصر ، وأرزاق مصر، وموارد
مصر بالخدعة والغدر تارة ، وبقوة السلاح تارة أخرى..
كما حدثتكم في الفصل السابق .

مظالم 600 سنة .

مظالم ستمائة سنة.. هي التي حطمها عمك جمال
عبدالناصر يابنى .. ستمائة سنة توالى فيها الحكم التركى
من عهد السلطان سليم ، ثم الفرنسى على يد نابليون ، ثم
التركى مرة أخرى على يد الخديويين، ثم الفرنسى
والبريطانى من خلال الخديويين .

إلى أن جاءت سنة 1882 فأغارت بريطانيا على مصر،
وانفردت بحكمها منذ ذلك التاريخ ، حتى كان يوم 32 يوليو
سنة 1952 الذى حدثتكم عنه ، والقرار الذى اتخذه عمك
جمال، لكى ينهى الى الابد مذلة دامت ستمائة عام ، وعارا
لحقا كل هذه الاجيال .

وأصبح يوم 23 يوليو سنة 1952.

وعرفت مصر، وعرف العالم كله، أن جيش مصر قد تحرك .

أما الشعب.. فقد انفجر ليهلل ، ويؤيد .. لان آماله المكبوتة التي ورثها عبر عصور المظالم والاضطهاد ، قد تحققت أخيرا على أيدي ابناء من صميم ترابه .

ولم يسأل الناس أو يترددوا لحظة ، كما هو مفروض ان يحدث عند وقوع مثل هذه الأحداث. .

فالذين قاموا بالثورة ضباط من الجيش .. وضباط الجيش كلهم مصريون .. لا يوجد بينهم شركسى ولا بريطانى .

أما المعسكر الغربى .. وهو ما كان يهمننا عند بدء هذه الثورة لاحتمال تدخله ، فقد أذهلته الضربة السريعة التى تمت فى سرية مطلقة ، وأقلام مخابراته تملأ شوارع مصر ، واجواءها فى تلك الاوقات.

المخابرات البريطانية فشلت

فلقد كان لبريطانيا جهاز مخابرات فى مصر .

وكان متغلغلا فى كل الاوساط .

وكانت سمعته أسطورية .. بمعنى ان مجرد ذكر اسم قلم المخابرات البريطانية ، كان يعنى القوة التى لا قبل لأحد بها، والقدرة الخارقة على معرفة ما يجول حتى فى النفوس من قبل أن ينطق به اللسان .

وكان الإنجليز مغرورين جدا بمخابراتهم ، الى جانب شىء آخر اهم من مخابراتهم وجيوشهم ، وهو ما كان يسمى بالهينة البريطانية .

لذلك كانت الضربة مذهلة حينما قامت الثورة ، وليس لدى مخابراتهم علم سابق كما تعودوا فى كل الاحداث .

وأكثر من ذلك طغت هيبتهم فى الصميم من أول لحظة حينما تجاهل القائمون بالثورة بريطانيا ، والسفارة البريطانية تجاهلا تاما.. وهى السفارة التى كانت منذ ساعات سابقة مصدر السلطات فى مصر، وسيدة القصر الذى يحكم البلاد ، وقبلة الأحزاب ، ومنتهى أمل القادة والزعماء .

وكان هذا التصرف طبيعيا يا بنى.. بعد كل تلك السنين الطوال من الاحتلال والأذلال .

أما بالنسبة لأمريكا، فإن الأسم كان يختلف بعض الشيء عنه بالنسبة لبريطانيا .

فبالرغم من اننا كنا نعلم أن هناك صداقة وطيدة بين سفير أمريكا والملك ، إلا أن كنا نحس بالآمال العريضة. كلما ذكرنا المواقف التي كانت بين روزفلت وتشرشل.. وكيف أن روزفلت كان يدافع عن حق تقرير المصير بالنسبة للشعوب الضعيفة ضد جشع بريطانيا وطمع فرنسا .

كنا نذكر بالذات ، تلك الجلسات التي عقدت فى الدار البيضاء .

والحديث الذى دار بين روزفلت والسلطان محمد الخامس ملك المغرب. .

وكيف أن تشرشل كان يتدخل للمقاطعة وتحويل الحديث حذى لا يحصل المغرب على استقلاله مع أن ميثاق الأطلنطى الذى أعلنه تشرشل وروزفلت فى عرض المحيط، لم يكن مداده قد جف بعد .

حق تقرير المصير

كنا نذكر أيضا تاريخ تحرير أمريكا من الاستعمار البريطانى .. وكيف أنها خاضت معركة سنخوض مثلها تماما مع بريطانيا.

وكنا نظن أن ما تركه جورج واشنطن من تراث ، مازال يحفظه الابناء اليوم ، بعد أن كتبه الآباء والاجداد بدمائهم ، وكفاحهم يوم أن أرادت بريطانيا أن تتحكم حتى فى فنجان الشاي الذى يشربه الأمريكى .

كنا نعتقد أن حق تقرير المصير، الذى كانت تنادى به أمريكا طوال الحرب الثانية لكل الشعوب الصغيرة وتنديدها بالاستعمار، حقيقة لا دعابة .

من أجل ذلك كله.. كان تصرف الثورة حيال أمريكا، من أول يوم ، مناقضا تماما لتصرفها حيال بريطانيا .
وانعقدت صداقة حقيقية بيننا وبين السفير الامريكى الذى كان صديقا للملك.

وكان الرجل مخلصا حقا .. الا أن واشنطن – كما اتضح فيما بعد – كات لها رأى آخر ، يعتمد فى بعضه على آراء الاستعماريين من أمثال ايدن رئيس وزراء بريطانيا ، الذى تحطم وانهار امام وقفة عمك جمال .. ويعتمد بعضه على النفوذ الصهيونى البشع الذى يسيطر على الصحافة، وعلى الكرنجرس ، وعلى المال فى أمريكا . ويعتمد بعضه أيضا على آراء بعض المتهوسين المغرورين من الأمريكان الذين يعتقدون انهم يستطيعون شراء كل شىء بالدولار حتى المبادئ والأخلق .. فاذا رفضت أن تبيع خلقك بادروا فملأوا العالم كله بالصياح : انك شيوعى وهدام .. وخطر على البشرية وعلى السلام !

صداقة الاحرار

ومن أول يوم كنا نوّمن يا بنى بالصداقة .. ولكن فهمنا للصداقة كان ولا يزال هو صداقة الاحرار لا صداقة العبيد .

ومن هذه النقطة بالذات ، بدأ الخلاف الذى وصل إلى حد اعلان الحرب على مصر والعدوان عليها بتدبير دنىء فى يوم 29 أكتوبر سنة 1956 ، ولكننى أقرر لك يا بنى ، اننا برغم كل ما حدث فى الشهور السابقة ، وبرغم ذلك العدوان ، لم يتزلزل - أبدا- ايماننا شعرة واحدة فى فهمنا للصدقة.. بل على العكس من ذلك.. فنحن نصر اصرارا كاملا على أن أمل البشرية الباقي للعيش والامن ، لن يكون الا فى الصداقة الحرة.. صداقة الشعوب قبل صداقة الحكومات.. صداقة الاحرار التى تنبثق من الاحترام المتبادل ، بعد ان أسفرت معركة العدوان عن صدق ما قلناه - من - أن المدفع والدبابة لا يفرضان الصداقة، وانما يولدان الحقد والمرارة .

كانت الصداقة هى العاهل الاساسى الذى اتخذه عمك جمال شعارا له ، وهو يبنى تشكيل الضباط الأحرار يا بنى .. لانها معنى ينسجم مع طباعه ، ويحفز فيه كل طاقات الانتاج والحماس.

فقد كان يسعده فعلا أن يوقف اجتماع شعبة من شعب التشكيل ، او يلغيه.. لان ضابطا زميلا رجاه أن يساعده بشرح درس من دروس كلية أركان الحرب ، وقد لا يكون هذا الضابط عضوا فى التشكيل ، ولا ينتظر منه اصلا أن يكون عضوا، وانما يكفى جدا ان يقصد عمك جمال باسم الصداقة ، فيكون له مايريده . . حتى ولو عطل ذلك بعض الوقت ، العمال الذى يعيش ويكافح من أجله عمك جمال.. وهو الثورة . .

وقد نجحت هذه الصداقة فى أن تجعل بناء الضباط الأحرار مهما كان عدده ، بناء قويا عميق الايمان والاهداف .

ونجحت أيضا فى أن توفر الحرية التامة لنشاط ما قبل الثورة.. ولكن أروع ما حققته هذه الصداقة كان يوم 27 يوليو سنة 1952 أى بعد أن تنازل الملك وغادر البلاد بيوم واحد .

ثورة 23 يوليو مدرسة

فى هذا اليوم اجتمعت الهيئة التأسيسية لتشكيل الضباط الاحرار، لأول مرة يا بنى بعد قيام الثورة .. وكان عددنا تسعة.

وكان عمك جمال هو الرئيس المنتخب للهيئة من قبل قياما الثورة .

وفوجئنا عند بدء هذا الاجتماع ، بعمك جمال يقدم استقالته من رئاسة الهيئة التأسيسية ، طالبا انتخابا جديدا للرئاسة بعد أن انتقلت الثورة من مرحلة الى مرحلة.. وحققت أول نجاح بتنازل الملك .. وأنتقالها من مرحلة السرية، الى مرحلة العلنية .

ولقد كان الرد المفاجيء منا جميعا هو رفض اجراء هذا الانتخاب.. لأن أخر انتخاب للرئاسة كان فى عام 1952 ولم يكن قد مضى عليه الا بضعة أشهر (فبراير سنة 1952) فضلا عن المسؤولية التى ألقيت على كاهل الهيئة التأسيسية بهذا النجاح الأول ، والمشاكل الخطيرة التى علينا أن نواجهها تجعلنا نتمسك بأوضاعنا لكى نمضى فى طريقنا .

ولكن عمك جمال أصر يا بنى على أن يستقيل ! !
فأجرى الأنتخاب على الفور . . .

وفى لحظات معدودة ، جمع عمك كمال الدين حسين
أوراق الأنتخاب وأخذ يفضها .. وكانت كلها جمال
عبدالناصر .

لقد كن جميعا فى هذه اللحظات يا بنى لا نحس إلا بما
تعودنا أن نحس به تجاه عمك جمال من صداقة عميقة
واحترام متبادل .. ولو إن أحدا قرأ أفكارنا فى تلك اللحظات
لوجدها كلها بخاطر واحد.. هو الثقة فى هذا الصديق الذى
حرص فى ساعة النصر، على أت ينتصر للمبادئ والقيم
فيستقيل .. حتى لا يظن أحد أنه أغتر مع أنه كان القوة
الدافعة للنصر الذى تم .

ومن هذه اللحظة أيضا، تحدد يابنى الطريق الذى سارت
فيه الثورة الى يومنا هذا الذى اجلس فيه لكى أسطر لك
هذه الكلمات .

ومن هذه اللحظة أيضا، كتب لهذه الثورة ، ثورة 23
يوليو ، أن تكون مدرسة قائمة بذاتها تختلف عما سبقها من
ثورات .. وكتب لها أيضا أن تكون حدثا عالميا لا فى تاريخ
مصر وحدها، وانما فى تاريخ العالم أجمع.. اذ أصبحت هذه
الثورة نقطة تحول - فى تاريخ البشرية- بين تاريخين :
تاريخ أصيب فيه العالم بكوارث الاستعمار الذى عصف بالقيم
.. واذل الشعوب .. واغتصب الارض والرزق والمصير..
وتاريخ تحررت فيه البشرية لتحفظ للانسانية قيمها ، ولتدك

الأستغلال والاعتصاب .. ولتسحق الاستعمار والمستعمرين
لصوص القيم، وقرصنة الشرف.

لقد خاض عمك جمال يا بنى معركة مريرة .. ولا يزال
يخوضها لا باسم مصر فقط ، وانما باسم كل ما أراده الله
لل بشرية من قيم وخلق وعدالة .. وبرغم ما كان يبدو من
عدم تكافؤ القوى فى هذه المعركة .

فان عمك جمال استطاع أن ينتصر فى معركة السياسة
على دهاقين السياسة الذين أفنوا عمرهم فى الخبرة والدهاء
.. وسقط أمامه رئيس وزراء أكبر أمبراطورية يعرفها
العصر الحديث صريعا موصوما بالتآمر والعار .

واستطاع عمك جمال أن ينتصر فى المعركة الادبية حين
وقفت من خلفه شعوب تعدادها الف وخمسمائة مليون
نسمة.. تصرخ فى وجه أعدائه الذين أرادوا أن يعودوا
بالعالم الى شريعة الغاب .

وانتصر عمك جمال فى المعركة العسكرية على جيوش
الامبراطورية البريطانية – وما يسمى بفرنسا – المزودة
بأحدث الاسلحة وأفزع ؟ أدوات الفتك والدمار .

أتعرف كيف انتصر يا بنى ؟

الفصل الخامس

- لن أستطيع أن أكون ديكتاتورا
- جمال عقل الثورة ومدبرها ورائدها
- انتصر لنا جمال

لن أستطيع أن أكون دكتاتورا

لقد انتصر عمك جمال فى كل هذه المعارك يا بنى ،
وسينتصر باذن الله دائما ، لانه صادق مع ربه ومع نفسه
ويحاسب نفسه دائما اقسى وأعنف حساب ، فى الوقت الذى
يتلمس فيه لغيره كل أبواب العفو والغفران .. يحفظ العهد
ويصدق الوعد ، و يخلص الود ، ويتقى ربه فى سره قبل
العلن .. لذلك أيده الله ، وأزره وناصره .

وعمك جمال يا بنى هادى دائما .. ويعرف تماما ما يريد
فبعد أن أنتخب بالاجماع رئيسا للهيئة التأسيسية طرح
للمناقشة موضوعا وصفه بأنه " حيوى وخطير " .

فقد طلب من الهيئة التأسيسية أن تقر الفلسفة التى
سيقوم عليها الحكم فى البلاد ، بعد أن أصبح ذلك مسئولية
مباشرة للهيئة التأسيسية .

وفسر ذلك بأن هناك اليوم فلسفتين احدهما هى
الديمقراطية والاخرى هى الديكتاتورية .
وأخذ فى شرح مزايا وعيوب كل فلسفة .. وكانما كان
يلقى محاضرة من محاضراته التى كنت أستمع له فيها فى
مدرسة الشؤون الإدارية .

وبعد أن أنتهى أخذ يعطينا الكلمة واحدا واحدا ، بترتيب
الجلوس ، لكى يدلى كل برأيه .

وأذكر يا بنى أننا انطلقنا جميعا فيما عدا عمك خالد
محيى الدين الذى لم يكن موجودا ، وكان بالاسكندرية..
اقول أنطلقنا جميعا ندلل بالحجج والبراهين على فساد
الديمقراطية .. ولم تكن تعوزنا فى هذا الامر الحجج ولا
البراهين .

فالحياة الديمقراطية التى عاشها الشعب منذ عام 1923
الذى عام 1952 عندما قامت الثورة ، لم تكن الاسلسلة
محكمة الحلقات من الفساد ، والرشوة ، والمحسوبية،
تفرقت فيها كلمة البلاد ..

وبدلا من أن يكون الكفاح موحدا ضد بريطانيا التى كانت
تحتل البلاد بجيوشها، وتفرض عليها استعمارا أذل من
كرامتها ، وسلب آرزاقها، ومنع الشعب من التقدم، والعلم،
والحياة .. نرى بدلا من ذلك أن الكفاح أصبح بين أبناء البلد
من اجل المنصب ، والحكم والجاه ...

كان هناك دستور .. ولكن هذا الدستور كان مسجوننا من
أول يوم صدر فيه ، حين قرر الامر الملكى لصدوره انه
"منحة" من الملك .

وبعد أن طبق هذا الدستور.. شهدنا جميعا كيف كانت ترتكب باسمه الخيانات .. وكيف كانت تلجأ اليه الاحزاب لكي تجعل من الاحقاد ، والمطامع ، والاستغلال ، أعمالا قانونية ، وهو الذى كان مفروضا فيه ان يحمى الشعب من حكامه.

وكان هناك ملك حدد له الدستور مكانه، يملك ولا يحكم ولكننا على العكس من ذلك ، رأينا الملك يحكم قبل أن يملك..

فانه نتيجة للصراع الحزبى الذى أوجدته الديمقراطية أصبح الامر تنافسا شخصيا بين الزعماء والاحزاب ، ليس لمصلحة الوطن . أو مصائره، وانما على الفوز بالحكم والسلطان.. كان الملك هو الذى يهب الحكم ويمنعه .. لذلك أصبح يسيطر على النفوس والضمائر.

وشهدنا – وشهد العالم – أكبر مأساة خلقية تمثل على مسرح الحكم والسياسة فى مصر، بطلها ملك يخضع لشهواته ونزواته ، ومن حوله زعماء كان كل همهم أن يشبعوا فيه هذه النزوات ، بالأستسلام والخضوع والتطرف فى اظهار الولاء ، حتى ان زعيما متدينا طلب من الشعب فى يوم من الايام أن يتوجه معه الى قبلة جديدة هى جزيرة كبرى.. لكي يحيى الملك الذى كان يعربد هناك فى شهر رمضان .. ولم يكن ذلك الزعيم طبعاً يحسب فى ذلك الوقت حساب الشعب ، وانما كان ، كل ما يحرص عليه هو عبادة

ذلك الصنم حتى وهو يعربد ، من أجل البقاء فى الحكم ،
والمحافظة على الصولجان .

وكانت هناك برلمانات .. وكان المنصوص عليه فى
الدستور . هو أن الحكومة مسئولة أمام البرلمان .. ولكننا
رأينا أنه منذ أن قامت تلك البرلمانات وهى المسئولة أمام
الحكومات ، وبدا سباق فى الفساد والرشوة بين الوزراء
وأعضاء البرلمانات ، كل هذا يجرى تحت قبة البرلمان . .
وباسم الشعب الذى كان يجلس أولئك النواب على كراسيهم
ليمثلوه .. فداسوا مصالحه ، وحطوا من كرامته ، واندفعوا
فى تيار المنافع الشخصية ، والنزوات الحزبية .

كل هذا كان يطلق عليه فى مصر، قبل الثورة ، كلمة
"الديمقراطية " .

والعجيب ان بريطانيا كانت تسعد جدا بتلك الديمقراطية
وتعتبرها امرا حيويا للتقدم والحرية ، ولم يكن يخفى علينا
نحن ابناء هذا الشعب ان حرص بريطانى ، على اطلاق كلمة
ديموقراطية على هذه الفوضى المخزية ، انما كان سلاحا
من احقر أسلحتها للسيطرة على هذا الشعب ، بشغل أبنائه
بعضهم ضد البعض بهذه اللعبة التى تخلق الصراع فى
الداخل بين أبناء البلد الواحد وتبقى هى معززة مكرمة فوق
كل صراع تفرض أوامرها ، وسيطرتها واستعمارها .

أخذنا نردد كل هذه الآراء الواحد تلو الآخر .. وكان كل منا ينتهي آخر الامر بتلخيص رأيه وهو أن الديمقراطية أداة فساد . . ولا معدى لنا ولا مفر من أن نطبق الديكتاتورية لكي يمكن أن نبني هذه البلاد بعد هذه الفترة الطويلة من الفوضى والفساد..

وبعد أن انتهينا جميعا من أبداء آرائنا على النحو السالف بدأ عمك جمال يا بنى فى بسط رأيه .. وكنا جميعا نكاد نجزم أنه سيشاركنا الرأى .. بعد أن سيطر على جو الجلسة اجماع كل منا على رفض الديمقراطية .

بدأ عمك جمال هادئا كعادته يا بنى.. فتناول تفسير كلمة الديمقراطية أولا.. وضغط – مشددا – على أنها تعنى أن يكون للشعب الكلمة الاولى فى حكمه .

وأخذ يدلل على سلامة هذا المعنى من نفسى الحجج التى اوردناها .

فلو أن ارادة الشعب كانت مفروضة على الحكام قبل الثورة ، لما استطاع الملك أن يعيث كل ذلك العيث بمساعدة الحكومات .

ولو ان ارادة الشعب كانت هى العليا ، لما اندفع الزعماء والوزارات . فيما اندفعوا فيه من خيانة لمصالح الشعب ومقدراته .

وبعد ان دلل على ذلك من الواقع طويلا بدا يتناول نقطة
اخرى.. هي أن هذه الثورة قد قامت لتخلص الشعب مما
عاناه .

من استبداد ومظالم ، لا لتبدأ عهدا جديدا من الاستبداد
والمظالم.. فطبيعة شعبنا سمحة طيبة تنفر من القوة
والتسلط عليها، مهما كان هدف هذه القوة، أو ذلك التسلط .

وانتهى يا بنى من هذه النقطة بتقرير حقيقة طلب منا ألا
نتجاهلها وهي أن مغزى قيام هذه الثورة يكون قد انتفى
تماما ، اذا نحن فرضنا على هذا الشعب ديكتاتورية ، لان
النظام الذى كان يطبق قبل الثورة لم يكن ديمقراطية انما
كان ديكتاتورية حزبية ، اطلقت على نفسها ديمقراطية،
ويكفى من ذلك ان نعود الى الوراء قليلا.. يوم تقرير ضريبة
الأطيان بأثر رجعى فى أحد برلمانات العهد الماضى، لكى
ندرك الى أى مدى كانت تطبق الحكومات شر أنواع
الديكتاتورية ، لأنها تقرر باسم البرلمان .

حتى لو اقتنعت بالديكتاتورية ثم

ثم انتهى الى النقطة الاخيرة ..

وهي انه لن يستطيع أن يكيف نفسه على أى نظام ديكتاتورى ، لان ذلك يتنافى مع طبيعته.. وقال بالحرف الواحد :

" حتى لو أقتنعت بالديكتاتورية ، فأنا أحس اننى لن أستطيع أبدا أن أكون ديكتاتورا أو حتى فردا فى نظام ديكتاتورى " .

وما أن انتهى عمك جمال يابنى من بسط رأيه على ذلك النحو حتى ساد الجلسة جو مشحون بالكهرباء والعصبية .

فألى اللحظة التى بدا فيها عمك جمال يبدى رأيه لم يكن يساور احدا منا شك فى اننا متفقون تمام الاتفاق على المنهج الديكتاتورى .. وانما تجرى المناقشة فقط ، لكى يكون تقرير الأمر بعد مناقشة كعادتنا دائما فى كل ما يعرض علينا من أمور ولكن حديث عمك جمال كان كالقنبلة يا بنى.. خاصة وان اللهجة التى تحدث بها اشعرتنا جميعا أن وراء كل كلمة وكل رأى أبداه تصميميا صلبا.. ونحن نعرف أن عمك جمال لا يصمم يا بنى الا بعد تفكير وروية . فاذا ما صمم ، فان قوى الارض كلها لا تثنيه عن ذلك التصميم .

بدا لى يا بنى أن مصير الثورة كلها التى لم يكن قد
مضى عليها الا بضعة ايام حققت فيها أولى خواتمها، أقول:
بدا لى أن مصير هذه الثورة يتأرجح فى شدة وعنف .
وخطر لى خاطر، وهو:

ان تأجيل هذه المناقشة من غير أخذ الأصوات كما
تقضى اللائحة ، قد يتيح الفرصة لى تهدأ نفوسنا جميعا فان
أخشى ما كنت أخشاه، هو أن يقع بيننا تصدع خطير نتيجة
للتصويت .. لاننى أعرف جمال يا بنى منذ أن كنا ضباطا
صغارا .. وأعرف انه حين يقتنع بأمر، فهو لن يتزحزح .

ثم أفرغنى خاطر آخر.. هو أن عمك جمال سيتنحى
بالتأكيد عن الاشتراك فى هذه الثورة اذا ما جاءت، نتيجة
التصويت كما هو ظاهر.. فطلبت الكلمة .

وأخذت أتناول المناقشات التى دارت من زاوية قصدت
بها " تميع " المناقشة بقصد تأجيلها، ولا أذكر اليوم ما قلته
، وهو مثبت طبعا فى محاضر الهيئة.. ولكنى اذكر شيئا
واحدا:

هو أن عمك جمال تنبه لما أعده، فاندفع يهاجمنى فى
عنف، مقررًا أن المناقشة يجب أن تنتهى الى قرار، لأن
الامر اخطر من الايبت فيه فى الحال.

واخذت الاصوات، وكانت النتيجة سبعة أصوات فى
صالح الديكتاتورية وصوت واحد فى صالح الديمقراطية..
هو صوت عمك جمال .

وصوت غائب.. هو صوت عمك خالد محيي الدين ،
الذى كان فى الاسكندرية ، وهكذا وقع ما كنت أخشاه .

وأعلن عمك جمال بعد النتيجة أنه يحترم قرار الاغلبية
ويعلن استقالته ، وانسحابه من الثورة .

ودعا لنا بالتوفيق فى السير بها وبالبلاد ، ثم جمع
أوراقه ، وغادر مبنى القيادة إلى منزله .

خرج جمال يابنى ، وبقينا نحن السبعة جلوسا الى
منضدة الاجتماع وقد أذهلتنا المفاجأة !

لم يتحرك منا أحد ، ولم يتكلم منا أحد ، وانما أخذ ينظر
بعضنا الى البعض فى صمت مطبق، وكأنما كانت عيوننا
تنطق بما يجول فى ضمائرنا، بل لعل الصدمة كانت مروعة
الى الحد الذى ألجمت فيه ألسنتنا وجمدت حتى التعبير فى
عيوننا، فانسحاب عمك جمال على تلك الصورة يا بنى كان
منطويا على كارثة مدمرة للثورة ، لجملة اعتبارات :

جمال عقل الثورة

أما الاعتبار الاول يا بنى فهو ان عمك جمال هو عقل
الثورة ومدبرها ورائدها .

بمعنى انه الى هذه اللحظة مثلا بعد مضى عدة سنوات
على قيام الثورة فان أحدا منا نحن الذين كنا فى مجلس قيادة
الثورة لا يعلم بالضبط عدد الضباط الاحرار، ومن هم الذين

خرجوا يوم 23 يوليو سنة 1952 ومن هم الذين لم يخرجوا
الا فرد واحد هو عمك جمال .

وما زلنا بين الحين والآخر نسمع أسماء ضباط لا
نعرفهم فيقول عمك جمال ان فلانا هذا خرج يوم 23 يوليو
وكان يقود الوحدة الفلانية ، وفلان هذا تأخر ساعتين عن
موعد وصوله المنطقة الفلانية .

ولكن عمك جمال - والشىء بالشىء يذكر - يرفض
الى يومنا هذا وسيظل يرفض أن يصرح بأسماء بعض
الضباط ممن خانتهم أعصابهم فى اللحظة الاخيرة فلم
يشتركوا فى الثورة ساعة قيامها ايماناً منه بالمبادئ التى
اختارها لنفسه، نفسى المبادئ التى جعلت من ثورة 23
يوليو عملاً جديداً ، ونهجا مستقيماً يقوم على الخلق
ويتمسك بالمبادئ .

الفراغ الذى لا يملأ

أما الاعتبار الثانى يا بنى فهو أن انسحاب عمك جمال
اوجد فراغاً خطيراً لا يستطيع أحد منا أن يملأه ولا نستطيع
نحن الثمانية الباقين جميعاً أن نملاه . فالمسألة لم تكن
مسألة انسحاب . عضو من الهيئة التأسيسية ، وانما هى
انسحاب الرجل الذى أسس هذه الهيئة التأسيسية ، وهنا
يجمل بى ان أحكى لك يا بنى عن تاريخ هذه الهيئة .

فكما قلت لك سابقا يا بنى تولى عمك جمال إمر هذه الثورة سنة 1943 وكان معه فى ذلك الوقت أعمامك بغدادى وخالد وحسن أبراهيم وكنت انا قد قبض على قى السنة السابقة ، أى سنة 1942 ، وإلى ذلك التاريخ الذى تولى فيه عمك جمال مسئولية التنظيم اى سنة 1942 لم يكن هناك جهاز لهذا التنظيم وانما كانت هناك جماعات من الضباط تجمعهم الصداقة تارة والزمالة فى الدراسة تارة أخرى ويربط الجميع شعر واحد هو كراهية السيطرة البريطانية التى اتخذت أشكالاً متعددة سواء فى الجيش أو فى جميع فروع الحياة فى مصر مما أوقع البلاد بين أنياب استعمار سياسى واقتصادى واجتماعى كاد يقضى كل كيان هذا الشعب .

لذلك كانت تتسم كل خططنا بالحماسة عندما يقع حدث معين ، فمثلا عندما هجمت ايجناليا على مصر سنة 1940 كان أول ما تبادر إلى ذهننا هو أن ننتهز هذه الفرصة ونقوم بثورة نقضى بها على فلول البريطانيين الذين كانوا فى مصر خاصة وأن استعداد الجيوش البريطانية فى مصر فى ذلك الوقت كان ناقصا الى الحد الذى طلبوا فيه الى الجيش المصرى أن يعطيهم اسلحته ، وكادوا أن يتسلموها لولا ان رفضنا نحن الضباط الاصاغر - وقتذاك - تسليم أسلحتنا ونحن أحياء .

وكذلك حدث نفس التفكير، عندما سلمت فرنسا ، وعندما وصل روميل بجيوشه الى العلمين .

أى ان تنظيم الضباط الاحرار لم يكن يعتمد على جهاز
بقدر ما كان يعتمد على الحماسة والعاطفة فى خطته .

قاعدة الانطلاق

ولكن عمك جمال ما إن تسلم المسؤولية حتى . بدا يكون
الجهاز او - القاعدة - التى لا بد من ايجادها لكى تنطلق
منها الثورة وتظل بعد ذلك حصنا يدفع عن الثورة الدس
والمؤامرات . وكان عمك جمال يصير على تكوين هذا الجهاز
أصرارا شديدا مهما كان الوقت .

الذى يتطلبه هذ التكوين وكان يقول اننا اذا أفلحنا فى ايجاد
جهاز قوى وانفقنا فى ذلك عمرنا كله فانا نكون قد أدينا
واجبنا كاملا نحو الاجيال المقبلة اذ سيكون من السهل عليهم
أن يطلقوا الشرارة فقط فيبدأ الطرفان .

من أجل ذلك ظل عمك جمال يعمل ليل نهار منذ سنة 1943 الى سنة 1948 حيث وقعت الحرب الاولى مع اسرائيل ، ثم استأنف نشاطه بعد هذا سنة 1949 ، بعد عودته من الحصار فى الفالولجا . إلى أن كانت سنة 1950 حيث فرغ من بناء القاعدة الاساسية لتنظيم الضباط الاحرار فى شعب ولجان وأصبح الامر يتطلب ايجاد هيئة عليا للتنظيم ، وكان هذا هو بدء مولد " الهيئة التأسيسية " .

أن الذى جمع أعضاء هذه الهيئة التأسيسية فرد واحد هو عمك جمال يا بنى ! اجتمع بهم فرادى أول الامر ثم جمعهم فى هيئة بعد ذلك ، لذلك لم أكن أبالغ حين قلت لك يا بنى أن انسحاب عمك جمال على تلك الصورة أوجد فراغا خطيرا لا يمكن ملؤه ، كل هذا بخلاف ما لعمك جمال من شخصية متزنة نحترمها جميعا وتعودنا أن نعتمد عليها فيما ، كان يقابلنا من مواقف وأزمات قبل قيام الثورة ، وتعودنا أن نجد فى أسلوبه دائما راحة وثقة وعمقا .

انتصر لنا جمال

أعود الى حديث السبعة الذين يجلسون حول منضدة الاجتماع فى مبنى القيادة فى كوبرى القبة ، فأقول لك يا بنى اننا امسكنا عن الحديث بعد انسحاب عمك جمال واستعضنا عن ذلك بالنظر الى بعض ، ولا اذكر اليوم كم من الزمن مضى علينا ونحن على هذ الحال ، وانما ما اذكره هو اننا انتهينا الى قرار حاسم من خلال ذلك الصمت ، هو انه لا بد

أن يعود جمال رئيسا للهيئة التأسيسية ولتكن فلسفة الحكم
هى الديمقراطية كما يريد لها جمال وليست الديكتاتورية كما
نريدها نحن جميعا .

وكانت هذه المعركة هى اول معركة انتصر فيها عمك
جمال يا بنى ، وهو لم ينتصر بالمعنى المادى الذى قد يتبادر
الى الأذهان ، اى باملاء ارادته علينا ، وانما انتصر لنا ضد
نفوسنا ، وانتصر لمصر فجنبها الدماء والأحقاد والويلات
التي تلازم دائما الديكتاتورية وحكم الأفراد .

كانت هذه المعركة ايضا يا بنى هى اول تطبيق لمبادئ
المدرسة الجديدة التي جعلت من ثورة 23 يوليو نهجا جديدا
فى التاريخ ، فبرغم أن القوات المسلحة يرأسها ضباط شبان
- هى التي قامت بها ، فان طلقة واحدة لم تطلق على أحد
فى جميع مراحل الثورة سواء فى ليلة 23 يوليو - منذ
قيام الثورة - أو بعد ذلك يوم 26 يوليو حين تنازل الملك
عن العرش وخرج من البلاد .

ولم تنصب المشانق كما حدث فى الثورة الفرنسية مثلا .

ولم يقتل احد غيلة كما كان يحلو لمصطفى كمال فى
تركيا أن يتخلص من اعدائه .

ولم يقذف بأحد فى أعماق السجون لكى يموت من غير
أن يدرى أحد بأمره كما كان يفعل موسوليني .

وانما استخدمت القوات المسلحة كل - ثقلها - فى ارغام اعداء الشعب على التسليم من غير ان تكلف الشعب ارهاقا او أن تلجا الى الصلف والغرر حتى مع هؤلاء الاعداء الذين تساقطوا أمام الثورة كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف .

وحين عاد عمك جمال يا بنى الى مكانه منا على كرسى رئاسة الهيئة التأسيسية فى اليوم التالى تلبية لاصرارنا واجماعنا على عودته . . اقول حين عاد عمك جمال لم يكن ذلك أيذانا ببداية تطور تاريخى خطير فى مصر وحدها ، وانما فى تاريخ البشرية بأجمعها . . اذ أراد الله سبحانه وتعالى أن تنهار على يديه أمبراطوريتين عرفهما العصر الحديث.. هما بريطانيا العظمى والاتحاد الفرنسى .

أنهارت على يديه هاتان القوتان يا بنى وهما تملكان من أسلحة الدمار والفتك أحدثها ، فى الوقت الذى لم يكن عمك جمال يملك الا ايمانا راسخا بربه ووطنه ، تجلى فى أروع صورة يوم ان كانت الطائرات تقذف مدن مصر بالقنابل فكان عمك جمال يقول :

" الله اكبر من كل سلاح ، واغوى من كل من يصور له الغرور أنه أقوى الاقوياء " .

بهذا الايمان انتصر عمك جمال يا بنى لا لمصر وحدها وانما لكل الشعوب التى عانت طوال القرون السابقة من السيطرة الاجنبية وأستعمار الرجل الابيض الذى لم يعرف يوما الخلق ، ولا الضمير، ومن أجل ذلك شنوا ويشنون اليوم على عمك جمال حربا يائسة ، استخدمت فيها برطانيا

وفرنسا السلاح والعنا فلما فشلتا بدأت امريكا تكمل نفس المعركة بسلاح آخر هو سلاح الدس السياسى والأغراء بالدولار والتخويف بالاساطيل لكى تحقق نفس الاهداف ولكن بفارق بسيط هو ان امريكا تعمل لحساب امبراطوريتها الجديدة الصاعدة بعد ان ايقنت من انهيار الامبراطوريتين الغربيتين .

الفصل السادس

- المراحل الثمانى الخالدة فى تاريخ الثورة
- المرحلة الأولى : مرحلة الآمال
- صداقتنا للسفير الأمريكى
- أخطر أسلحة الاستعمار
- الوعود والأمانى
- الاستعمار يبدأ ببعثة عسكرية
- اتفاقية السودان

المراحل الثمانى الخالدة

فى تاريخ الثورة

ولابد لى ان استعرض لك يا بنى المراحل المختلفة التى أدت الى الوضع الراهن .

المرحلة الاولى: مرحلة الامل

تبدأ مع بدء الثورة وتنتهى بعقد اتفاقية أكتوبر سنة 1954 التى نسفتها أول قنبلة سقطت على مصر فى 31 أكتوبر سنة 1956 .

المرحلة الثانية : مرحلة التضليل

وتبدأ من أول نوفمبر سنة 1954 وتنتهى فى يناير سنة 1955 .

المرحلة الثالثة : مرحلة ظهور النويا

وتبدأ فى 28 فبراير سنة 1955 وتنتهى فى سبتمبر سنة 1955 أى يوم أن عقدت صفقة الاسلحة بين مصر وتشيكوسلوفاكيا .

المرحلة الرابعة : مرحلة المساومة

وتبدأ من سبتمبر سنة 1955 وتنتهى فى 30 يوليوسنة 1956 أى منذ أن عقدت صفقة الاسلحة المشار اليها الى يوم ان سحبت أمريكا ، والبنك الدولى ، وبريطانيا مشروع تمويل السد العالى .

المرحلة الخامسة : مرحلة المؤامرة

وتبدأ يوم 26 يناير سنة 1956 أى يوم أن صدر مرسوم تأميم شركة قناة السويس وتنتهى فى 29 أكتوبر سنة 1956 يوم أن بدأت إسرائيل تنفيذ المؤامرة الثلاثية على مصر .

المرحلة السادسة : مرحلة الازدلال بالقوة

وتبدأ يوم 30 أكتوبر سنة 1956 وهو اليوم الذى أرسلت فيه بريطانيا وفرنسا . إلى مصر انذارهما الذى وصف فى بريطانيا بأنه عمل قدر وتنتهى فى يوم 6 نوفمبر سنة 1956 وهو يوم وقف اطلاق النار .

المرحلة السابعة : مرحلة الفضيحة الكبرى

وتبدأ يوم 6 نوفمبر وهو اليرم التالى لوقف اطلاق النار وتنتهى فى يوم 23 ديسمبر سنة 1956 وهو تاريخ انتهاء انسحاب بريطانيا وفرنسا من بورسعيد .

المرحلة الثامنة : الأصرار على المؤامرة

وتبدأ من يوم 24 ديسمبر سنة 1956 وهو اليوم التالى لانسحاب فرنسا وبريطانيا وهذه المرحلة لم تنته الى هذا اليوم الذى أدون لك فيه هذه الذكريات ، ولكنك ستجد يا بنى انه لن يصعب أستنتاج ما ستكون عليه نهاية هذه المرحلة...

المرحلة الاولى: مرحلة الآمال

من بدء الثورة إلى أكتوبر 1954

اننى أذكر يا بنى جلسات الهيئة التأسيسية التى عقدناها فى مستهل عام 1952 والتى حكيت لك عن جانب منها، وأذكر أن تقدير الموقف الذى وضعه عمك عبد الحكيم عامر ترك نقطتين فى هذا التقرير على بياض أى لم يناقشهما كما ناقش بقية النقط ، وكانت هاتان النقطتان أو كما نسميها فى الإصطلاح العسكرى " العاملان " هما:

احتمال تدخل بريطانيا.

واحتمال تدخل أمريكا فى المراحل الأولى للثورة .

الدرس الذى وعاه فاروق

نلم يكن يخفى على أحد ان بريطانيا تسعى دائما لفرض المزيد من سيطرتها على البلاد ، وكانت تفرض حمايتها على الأحزاب السياسية ورؤسائها بالعدل والقسطاس لكى يمثل كل منهم دوره وقت أن يطلب إليه ذلك ، هذا فضلا عن أن ملك البلاد فاروق كان قد تعلم من حادثة 4 فبراير سنة 1942 درسا هو إلا يعارض سياسة بريطانيا.. بل خرج من هذه الحادثة بحكمة خالدة هى ان يوفر لنفسه الأمان والسلام بتنفيذ كل ما تريده بريطانيا، حتى يستطيع أن يتفرغ لاشباع شهواته ونهمه لجمع المال والثروة .. وتطورت الامور الى أبعد من ذلك فأنعمت عليه بريطانيا برتبة جنرال فىالجيش

البريطانى .. وكان بهذا الشرف الذى منحه آياه اعداء البلاد ، ومنذ ذلك الوقت وهو منحرف الى ملاذاه واهوائه .

احتمال تدخل بريطانيا

نخرج ممن هذا العرض البسيط يا بنى بأن أحتمال تدخل بريطانيا ضد الثورة فى مراحلها الاولى كان يعتبر حقيقة لابد أن تقع لأن هذه الثورة لا بد أن تطيح بالاحزاب وزعمائها الذين تبسط عليهم حمايتها وبالمك الخاضع لها .

ولم يكن الامر يقتصر على بريطانيا وحدها وانما كانت هناك أمريكا أيضا ، وكان الملك قد عقد لنفسه صداقة متينة مع سفير أمريكا فى مصر المستر كافرى لكى يتقى بأمريكا شر انجلترا اذا ما فكرت فى أن تنقلب عليه فى يوم من الأيام ، وكان طبيعيا جدا أن ترحب أمريكا بهذه الصداقة وأن تعمل على تعزيزها وهى التى بدأت تحس بأهمية هذه المنطقة من العالم خاصة وأن شعور الكراهية ضد بريطانيا كان يزداد يوما بعد يوم فى البلاد : مما أتاح لأمريكا فرصة ذهبية لكى تبنى لنفسها سمعة ترقم عنى أنها ضد الاستعمار وانها بطلة الحريات ، وتقرير المصير .

مركز الثقل يتزحزح

وبدأ مركز الثقل يتزحزح رويدا رويدا من السفارة البريطانية الى السفارة الأمريكية .. بممنى ان رئيس الوزارة المصرية كان لا بد لكى يعين أن يكون مرضيا عنه من

السفارة الامريكية، ومعروفا تمام المعرفة لأفرادها ، بعد أن كان هذا من اختصاص السفارة البريطانية ومستشارها الشرقى المشهور .

أعود بك الى سياق الحديث يا بنى فأقول أننا ازاء كل هذا كان لا بد أن نحسب حساب بريطانيا وأمريكا عند وضع خطة قيام الثورة ، ولكننا بمد مناقشات طويلة انتهينا الى قرار، وهو أن يترك أمر هذا التدخل الى ساعة وقوعه. لأنه لم يكن لدينا لا القوات ولا الأسلحة التى تستطيع أن نخصصها لمقابلة هذا التدخل علما بأن بريطانيا كان لها أكثر من خمسة وثمانين ألف جندى مزودين بالسلح والعتاد فى منطقة القناة .

معركة شعبية

وعولنا على أن تبدأ الثورة ..
فاذا تدخلت بريطانيا ، أو أمريكا ، أو الاثنان معا . فلا بد من أن تتحول المعركة الى مقاومة شعبية يشترك فيها الجيش مع الشعب .

ولكننا فى تلك اللحظة كنا نستبعد تدخل أمريكا فى الوقت الذى كنا نرجح فيه تدخل بريطانيا خاصة وانه كان على رأس حكومتها مستر تشرشل وهو الرجل الأستعمارى الكريه البغيض .

وقامت الثورة فى ليلة 22 / 23 يوليو سنة 1952 .

وفى الساعة الثانية من صباح يوم 23 يوليو .. أى بعد
حوالى الثلاث ساعات من قيامها كنا نسيطر على جميع
القوات المسلحة من صحراء سينا . . إلى القاهرة .. إلى
الأسكندرية .

وفى اللحظات الهاجعة التى تصاحب ظهور أشعة الفجر،
كانت أصوات جرارات المدافع تنساب فى نغم متدفق من أمام
مبنى القيادة لكى تؤمن المراكز الحيوية فى العاصمة .

تفاهم غير منتظر

وهنا خطر لنا خاطر... هو ان نخطر أمريكا عن طريق سفارتها بأن ثورة مسلحة قد قامت وسيطرت على الموقف .

وان قيادة هذه الثورة قد رات ان تخطر أمريكا حتى لا تستغل بريطانيا هذه الفرصة فتشوه الثورة واهدافها لأمريكا

وأنا عازمون على المضي بالثورة مهما كانت الظروف.

واننا سوف نقاوم اى تدخل . أجنبى بالقوة والسلاح مهما كان الثمن .

وفعلا اتفقنا بعد مناقشة قصيرة على أن نوفد ضابطا ذهب وطرق أبواب السفارة الأمريكية مع أول خيط من خيوط النهار وأبلغ المسئولين فيها ما اتفقنا على ابلاغه اياهم ..

ولقد كان رد الفعل على خلاف ما توقعنا ، فاننا كنا نتوقع أن يكون سلوك أمريكا متحفظا ان لم يكن معاديا بوصفها حليفة بريطانيا ، و لكن على العكس من ذلك أظهرت أمريكا فهما عجيبا للموقف ، برغم ان سفيرها فى مصر كان يعتبر الحامى الأول لحمى الملك .

قرار طرد فاروق

بل اكثر من ذلك .. فانه عندما استنجد فاروق صبيحة 26 يوليو سنة 1952 بالسفير الامريكى عقب أن حوصرت سراى رأس التين ، فان المستر كافرئ كان واعيا وحصيفا فلم يبادر إلى استدعاء القوات الامريكية ، مثلا، لحماية الملك فيهب الشعب كله للمقاومة وتقوم المذابح .. وانما ارسل مستشار السفارة الامريكية المدعو سباركس الى رئاسة مجلس الوزراء فى بولكلئ ، حيث قابلنا فى الساعة التاسعة صباحا ليطلب فقط باسم الحكومة الامريكية أن يؤمن الملك على حياته الشخصية فقط .. وكنا قد اتخذنا فى الليلة السابقة قرارا فى هذا الشأن ، وهو ان يطرد الملك بعد تنازله عن العرش .. واستبعدنا قرار محاكمته واعدامه ، بعد أن اختلفنا طويلا على ذلك .

صداقتنا للسفير الامريكى

وهكذا بدا لنا ان أمريكا تفهم الأوضاع على حقيقتها بعقلية غير تلك العقلية الاستعمارية، وبدا لنا أيضا ان لأمريكا سياسة أمريكية على خلاف ما كنا نعرف من انها تسير فى ذيل السياسة البريطانية الأستعمارية.. وخاصة فى هذه المنطقة من العالم التى كان يدعو الساسة البريطانيون الاستعماريون أنهم خبراءؤها الوحيدون ، ولعل هذا يلقي لك ضوءا يا بنئ على ما قلته لك سابقا من أن تصرف الثورة حيال أمريكا كان مناقضا من أول يوم لتصرفها حيال بريطانيا وان صداقة حقيقية انعقدت بيننا وبين السفير الأمريكى المستر كافرئ وان الرجل كان مخلصا حقا .

فمن أول يوم لبينا دعوة المستر كافرى التى دعانا فيها إلى العشاء وذهبنا جميعا إلى منزله .. قبل أن يعلم الناس فى مصر والعالم من هم رجال ثورة مصر فى الوقت الذى قاطعنا فيه السفارة البريطانية تمام المقاطعة حتى ان المستشار الشرقى بها كان يبحث ويحاول أن يصل إلى معرفة أشخاصنا ، ثم بدأ بعد ذلك يتصل ببعض أصدقائنا من الصحفيين لكى يدلوه على طريقة يتصل بها بنا، أو يكونوا واسطة لاجتماعه بأحدنا ، كان هذا فى الوقت الذى كان السفير الامريكى فيه دائم الاتصال بنا .. وفى كل مرة كان يظهر تفهما وادراكا لحقيقة أهدافنا مما جعلنا نحس أن امريكا عازمة حقا على التمسك بما تعلن عنه من انها ضد الاستعمار . . وانها مع حق تقرير المصير للشعوب الصغيرة التى ابتليت بالسيطرة الاجنبية .

أراء واشنطن

ويقبنى اليوم وبعد كل ما حدث من أمريكا ويحدث أن المستر كافرى كان رجلا مخلصا تمام الاخلاص وانه كان يفكر بعقلية ناضجة لمصلحة أمريكا قبل كل شىء ، ولكن ما حدث بعد ذلك وما يحدث فى هذه الايام التى أكتب لك فيها هذه الكلمات أثبتت بطريقة قاطعة ان آراء المستر كافرى شىء .. وآراء واشنطن وأولئك الذين يجلسون الى المكاتب فيها شىء آخر ..

وأعود الى الحديث يا بنى فقد ذكرت انه بدأت مرحلة عقب قيام الثورة أطلقنا عليها مرحلة الآمال ، فقد كان أكثر ما تتميز به هذه المرحلة من يوم أن أخطر رسولنا أمريكا بقيام الثورة الى يوم ان وقعت اتفاقية أكتوبر سنة 1954 بين مصر وبريطانيا والتي نسفها عدوان بريطانيا ، أقول كان أكثر ما تتميز به هذه المرحلة هو الآمال العراض .

وكما قلت لك يا بنى كانت تصرفات السفير الأمريكى كافرى تدعو الى الثقة ، لذلك بدأنا أول تجربة معه وكانت خاصة بتسليح الجيش المصرى الذى كان يفتقر الى السلاح بل الى كل شىء ، فلقد كانت السياسة المرسومة بعد حرب فلسطين سنة 1948 هى أن يظل الجيش مفتقرا الى السلاح والذخيرة والعتاد ، وما دام متعهد توريد الاسلحة هى بريطانيا فان ذلك كان كفيلا باحكام السيطرة على هذا الجيش وبالتالي على الشعب الذى لن يجد له حماية فى جيشه وبذلك لن تقوم فى مصر دولة لأن أولى مقومات الدولة هى أن يكون لها جيش قوى يستطيع أن يحميها من أية سيطرة او تدخل يفرضان عليها من الخارج.

وأعود على الطريقة الامريكية

وحين طلبنا من المستر كافرى الاتصال بحكومته بشأن تسليح الجيش المصرى من حر مالنا جاء رد الحكومة الامريكية فى صورة. نسخة مما يسمى " ميثاق الامن التبادل " وهو عبارة عن اتفاقية قالوا لنا انه بمجرد أن

نوقعها فاتنا لن نكون بحاجة ألى أن ندفع مليما واحدا بل ستندفق الأسلحة على الجيش المصرى مجانا ، هذا بخلاف المعونات الأخرى ، وقد كان العرض على الطريقة الامريكية محاطا بالتشويق والدعاية المغرية .. فتارة يقولون ان أكثر من أربعين دولة تنعم بخيرات هذا الاتفاق اليوم وتسبح فى بحبوحة الرفاهية ، و تارة يقولون ولماذا تخصصون من ميزانيتكم أية مبالغ تنفقونها على التسليح فى الوقت الذى يمكنكم فيه أن تحصلوا على السلاح بالمجان . بل على أحدث الأسلحة أيضا وهكذا . فقط وقعوا وبعدها يكون الطوفان .

وقرأنا الاتفاقية، أى اتفاقية الأمن المتبادل هذه ، ظاهرها برىء براءة عجيبة، أما باطنها فقد أخذ ينكشف لنا سطرًا بعد سطر .

ان بعض ما فى هذه الاتفاقية هو ان الجيش المصرى سيكون خاضعا لاشراف بعثة أمريكية عسكرية تتولى التدريب وتتولى التنسيق وبذل النصيحة والمساعدة فى وضع الخطط اى كما يقول المثل البلدى : كأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا ،

بعثة عسكرية

والى سنة 1947 كانت توجد فى مصر بعثة عسكرية بريطانية تقوم بنفس الواجبات التى وردت فى اختصاصات البعثة العسكرية الامريكية الموعودة ، فماذا كانت النتيجة؟

لقد كانت هذه البعثة العسكرية البريطانية أخطر نكبة حلت بالجيش المصرى ، فقد كان أفراد هذه البعثة يمنعون السلاح عمدا عن الجيش المصرى تنفيذا لسياسة بلدهم بريطانيا الاستعمارية ، وكان أفراد هذه البعثة يتجسسون على الضباط المصريين لحساب بريطانيا بل ان الاسلحة التى كان يشتريها أفراد هذه البعثة لحساب الجيش المصرى على انها أسلحة جديدة .. كانت فى الواقع أسلحة مستعملة فرغ انجيش البريطانى من التمرن عليها . ولقد تلقينا ونحن ضباط صغار بعض هذه الاسلحة وفتحنا صناديقها بأنفسنا على أنها أسلحة جديدة ثم أثبتنا فى محاضر التسليم أنها مستعملة ، لانها كانت فعلا أكثر من مستعملة .

وكان أفراد هذه البعثة حلقة من أحكم حلقات الاستعمار البريطانى فى مصر فكانوا يطارون كل ضابط مصرى يشتتم منه أنه يحس ببلده أو يعرف لوطنه كرامة أو عزة .

والآن يطلب منا ان نستقدم بعثة عسكرية أمريكية بعد أن تخلصنا من كابوس البعثة البريطانية الله .. الله ..

لقد ظننا اول الامر ان هذا العرض ليس جديا بعد أن قرأنا تفاصيله ، ولكن اتضح أن أمريكا تعرض هذا العرض بصفة جدية مما زاد فى دهشتنا وعجبنا .

ان هذا العرض ليسى الا استعمارا جديدا أنكى وأشد مما عاتيناه على يد بريطانيا ، فقد كنا مع بريطانيا ندفع ثمن السلاح رغم كل ألامعيبها ، ولكن أمريكا لا تريد ثمننا للسلاح

وانما ستتقاضى الثمن من سيادتنا وكرامتنا، ستتقاضى الثمن
سيطرة كاملة على جيشنا وبالتالي على كياننا .

رفضنا العرض

ورفضنا هذا العرض رفضا باتا

ولما سأل الأمريكان عن اسباب الرفض حكينا لهم حكاية
البعثة العسكرية البريطانية وقلنا لهم : لن نكون سذجا أو
بلهاء مرة أخرى ، ونحن نريد أن نشترى السلاح منكم شراء
حرا ولا نريد هبة من أحد ولا نريد أن يكون لأى انسان فضل
علينا .

ودهشنا أكثر وأكثر يا بنى حينما وجدنا الامريكان
لايقتنعون بمنطقنا هذا ، بل يكادون يستنكرونه . .

وهنا تدخل الرجل كافرى مرة أخرى لينقذ الموقف ، فقد
احس أننا نحس مرارة وخيبة من منطق امريكا الذى ، لا
يختلف عن منطق بريطانيا ، الا فى انه أشد حمقا وتجاهلا
لأمانينا وحریتنا ، وكان الرجل يريدنا أن نفهم أن هذه ليست
سياسة واشنطن وانما هى سياسة الموظفين الذين يخضعون
للروتين وعلى هذا الاساس طلب كافرى مهلة لكى يعود الى
واشنطن مرة أخرى .

ويظهر أن الرجل استخدم كل نفوذه محاولا افهام
واشنطن الحقائق فجاء الرد أن وافقت أمريكا على صفقة

أسلحة للبوليس المصرى كان ثمنها مدفوعا من قبل قيام الثورة بوساطة حكومات ما بعد 26 يناير سنة 1952 لكى يسكتوا بها الشعب ، وقالوا لنا وقتها ان هذه الصفقة عربون عن حسن نوايا أمريكا وان موضوع تسليح الجيش المصرى هو قيد البحث لدى المسنولين هناك .. أو بمعنى آخر سياسة الاسبرين .. أى اعطاء قرص من الاسبرين للمريض على أمل تهدئته فلا يقطع الامل من طبيبه الجاهل .

أخطر أسلحة الاستعمار

عندما قامت الثورة كانت البلاد قد أشرفت فعلا على الافلاس أقتصاديا .. .
فالاحتياطى كله كان قد نفذ منذ وقت طويل .

وأصبحت خزينة الدولة مدينة بأكثر من خمسة و أربعين مليوناً من الجنيهات .
وكان رصيد البلاد من الذهب والعملات الخارجية فى نزول مستمر.

كل هذا بخلاف ما أشاعه الأجانب من زعر فى السوق المصرية ، نتيجة لانسحاب الكثير من رعوس الاموال الأجنبية بعد حريق القاهرة فى 26 يناير 1952 .

وهنا يجب أن أقف قليلا يا بنى لكى أذكر لك أن أقتصادنا كله الى ساعة بدء العدوان على مصر فى 29 أكتوبر سنة 1956 كان فى أيدي الأجانب سواء منهم الفرنسيون والبريطانيون ، أو اليهود من مختلف الجنسيات الاخرى .

وكانت هذه السيطرة على اقتصادنا ، هي أفتك الأسلحة
التي يمارسها الاستعمار فى مصر، لخلق كل اتجاه نحو
التحرر أو الاستقلال بتجويع الشعب ، وافقاره ، واذلاله .

واستخدمت بريطانيا هذا السلاح فى مصر بنجاح طيله
أربعة وسبعين عاما .

وشهدنا نحن فى ديسمبر سنة 1952 – ولم يكن قد
مضى على قيام الثورة الا حوالى الستة أشهر – أقول شهدنا
فى ذلك الوقت أول تجربة بريطانية لاذلال مصر بعد الثورة
وذلك عن طريق استخدام سلاح الضغط الأقتصادى .. يوم أن
أمتنت بريطانيا عن شراء حصتها فى محصول القطن ..
وكانت هى العميل الاول بالنسبة للسوق المصرية ، بحجة أن
لدى الغزاليين البريطانيين فائضا من القطن المصرى .
وبعنا قطننا للآخرين

وكان هدف بريطانيا فى ذلك الوقت، هو ضرب الأقتصاد
المصرى ضربة قاتلة .. بحرمان الخزينة المصرية من
المورد الأساسى للعملة الأجنبية وبالتالي حرمان الشعب من
الحصول على حاجاته الضرورية.. فاما أن تقوم ثورة جديدة
، وما أن تسلم الثورة. لبريطانيا فيما تريد.. كما كان يسلم
لها الملك .. وكما كان يسلم لها الزعماء والأحزاب ..

ولكننا لم نسلم لبريطانيا يابنى .. بل على العكس من
ذلك ، حررنا سوقنا القطنية من احتكار بريطانيا وحلفائها
من المستعمرين .

وبيع قطننا فى تلك السنة

ولا يزال يباع الى اليوم لكل من يدفع ثمنه بعد أن كان محرما على مصر أن تبيع قطنها لغير بريطانيا وحلفائها .
ودخلت دول أوروبا الاشتراكية واشترت .
ودخلت الصين واشترت .
ولقد كانت هذه التجربة ، ولما يمض على الثورة أشهر قليلة مبعث دراسة مستفيضة منا ... خاصة وان بريطانيا كانت تسيطر على وفرنسا حليفها على اقتصادنا سيطرة تامة عن طريق البنوك والمؤسسات التجارية .

وأسوا من ذلك كله ، ان بريطانيا وفرنسا خلفتا فى مصر طبقة من رجال الاقتصاد من المصريين ، الذين باعوا شرفهم وكرامتهم ووطنهم لقاء مكافآت مجالس الادارة واصبحوا عملاء للأجنى فى سوقنا الأقتصادية ...

فاذا ما أرادت بريطانيا ان تحقق كسبا سياسيا ، أصدرت أوامرها الى هؤلاء العملاء .

فتبدأ البنوك فى التعسف مع التجار فى فتح الأعمادات مثلا وتخرج الشائعات قائلة ان الاقتصاد المصرى فى خطر .
وان الازمة تأخذ بخناق الناس .
وان التجارة توشك على الافلاس .
وهم هم الذين صنعوا كل هذا عن طريق البنوك التى كانوا يسيطرون عليها .. وعلى كل المعاملات .

من أجل ذلك اتجهنا يا بنى من أول لحظة إلى بناء اقتصاد البلاد بناء سليماً على أسس صحيحة مدروسة .

وأخذنا نستعين برأى كل من له رأى فى الاقتصاد .. حتى نستطيع ان نضع خطة لهذه المعركة التى اتضح انها أخطر معركة سنخوضها من أجل استخلاص استقلال البلاد..

فالحرب فى هذا الميدان خطيرة . . لانها تتعلق بلقمة العيش التى يمسك بها كل مواطن رمله . . انها معركة رغبة العيش الذى يريد أن يحصل عليه كل مواطن من غير تهديد أو مساومة فى الوقت الذى يسيطر المستعمر وأعوانه على هذا الرغبة ويهددون بحرماننا منه كل مطلع يوم جديد .

وكان أول ما انتهت اليه تلك الدراسات هو ضرورة توافر رأس المال الذى يمكن عن طريق استثماره قيام الصناعات التى توفر للبلاد حاجاتها ، وتستوعب العمال .. وتوفير الرخاء .

وبدأت دراسة واسعة لوضع مشروعات السنوات الخمس .

ولم نسمع بخبير فى أية بلد الا استقدمناه لكى نقيده بخبرته .

وبقيت مشكلة رأس المال .. وهى مشكلة ذات شقين :

الشق الأول منها محلى وهو فى يد البنوك التى يسيطر عليها الاستعمار، وأعوانه ، ورجال الأقتصاد ممن باعوا انفسهم للشيطان . . فقد تعاون كل هؤلاء على اشاعة جو من عدم الثقة فى السوق المصرية .. فأحجم أصحاب رعوس الأمرال من المواطنين انتظارا منهم لما ينتهى اليه الحال ، اى الى أن ترضى بريطانيا عن الثورة .

أما الشق الثانى منها وهو خارجى فيتعلق بضرورة دخول رعوس أموال أجنبية الى جانب رأس المال المصرى ، حتى يمكن توافر العملة الأجنبية التى لا يمكن استيراد الآلات والعدد اللازمة بدونها .. وهذه فى يد المستعمرين انفسهم .

الوعود والأمانى

وكان طبيعيا ألا نفكر فى بريطانيا ونحن ندرس مشكله رأس المال الأجنبى لأسباب كثيرة :
منها الخلاف السياسى الخاص بجلاء جنودها من أرضنا.. وهو ما كنا نصر عليه فى عنف وتصميم .

ومنها أن بريطانيا خرجت من الحرب العالمية الثانية على شفا الأفلاس وانها تحتاج الى وقت طويل جدا لكى تستطيع أن تشفى من جراحها . وتسترد أنفاسها فى الميدان الأقتصادى .

لذلك فكرنا فى الأستعانة بأمريكا ، خاصة وأن الوعود والأمانى العذاب كانت تنهال علينا عن طريق سفارتها .

ووعود وأمانى كانت تشمل كل ما يخطر على بال البشر .

وأمرىكا لم تخرج كبريطانيا من الحرب مقلسة ، بل على العكس من ذلك خرجت مزدهرة ممتلئة .. وتكدست فيها رعوس الأموال التى تفيض عن حاجتها للأستثمار والرشاء .

وبمنتهى حسن النية أبلغنا أمريكا اننا نرحب برعوس الأموال الأمريكية التى تريد أن تدخل مصر لى تساهم فى رشاء الشعب ، بشرط أن تخضع للقوانين المصرية شأنها فى ذلك شأن رأس المال المصرى .

وأعتقدنا أن الوعود والامانى لابد أن تفعل فعلها هذه المرة خاصة وأن الأمريكى بطبعه رجل بيع ، وشراء ، ودولار، وفرصة الإستثمار التى سيجها بناء مصر من جديد فرصة لا تعوض للكسب الحلال .
وجاء الرد من واشنطن .

جاء الرد من واشنطن هذه المرة فى صورة اتفاقية مطبوعة وبنفس الاسلوب الذى جاءت به اتفاقية الأمن المتبادل التى حكيت لك عنها يا بنى.
أى بطريقة مشوقة .. مغرية .

فهذه الاتفاقية الخاصة براس المال ، يتمتع بخيرها أثنان وعشرون دولة وقعوها... فتدفقت عليهم رعوس الاموال من غير حساب .

وهذه الشعوب تنعم اليوم بالرشاء والرفاهية .

أنظروا

هذه هى أسماء الدول التى تنعم اليوم بالجنة والترف ..
بعد الفقر والأملق . . وقعوها لكى تكون الدولة الثالثة
والعشرين .

لم نطلب أموالا من الحكومة الامريكية

وقرأنا اتفاقية راس المال هذه ، فى عناية وحرص
شديدين . وكما مضى منه سطر ، التهمنا السطر الذى يليه
. . لكى نعثر على الجنة الموعودة . . والنعيم المقيم .

وكان أول ما لفت نظرنا فى هذا الأمر ، هو أننا لا نريد
أموالا من حكومة أمريكا ، حتى نطلب منا أن نوقع معها
اتفاقية .

وأما نحن قلنا أننا نرحب بكل رأس مال أجنبى .. لأى
فرد سواء كان أمريكيا ، أو من أية جنسية أخرى .. على
أساس أن يفيد ويستفيد .. ولا دخل لنا مع الحكومات .

ولكن .. هذه الاتفاقية ، لم تلبث ان كشفت عن وجه
أمريكا ان هذه الاتفاقية تنص على ان رأس المال الأمريكى
الخاص ، الذى يأتى إلى مصر، تضمنه الحكومة الامريكية
لصاحبه . نظير فائدة معلومة بينها وبينه .

ومن أجل ذلك، فانه اذا ما اراد صاحب رأس المال
الامريكى هذا أن ينسحب من مصر لأى سبب ، أو اذا طبقت
عليه الكومة المصرية فى قوانينها ، شأنه شأن راس المال
المصرى ، فان الحكومة الأمريكية تحل محله كصاحبة
لرأس المال .

أو بمعنى آخر .

دخل رأس المال باسم " الخواجة فلان " دخولا تجاريا

بريئا

فلا يلبث أن يخرج الخواجة فلان .

ويصبح رأس المال التجارى البرىء ملكا للحكومة

الأمريكية والسياسة الأمريكية .

ويحميه الأسطول السادس الأمريكى اذا كان فى البحر

المتوسط .

أو السابع اذا كان فى الشرق الاقصى . . الخ .

تبخرت الآمال

ورفضنا هذه الاتفاقية أيضا، بأشد مما رفضنا اتفاقية

الامن المتبادل ، لانها فى جوهرها، ابشع من أى استعمار

ظهر على وجه الارض ، إلى يومنا هذا .

ومرة اخرى .. انفضحت الوعود .. وانكشفت الامانى ..

وتبخرت الامال .

وكل هذا ، ولم يمض على قيام الثورة ستة شهور.

وهكذا امسكنا بمفتاح السياسة الامريكية يا بنى .. منذ

الشهور الأولى لقيام الثورة .. ولكننا كنا نأمل دائما ان يأتى

اليوم الذى تفهم فيه أمريكا، انها على خطأ .. اذا كانت حقا

تؤمن بحق تقرير المصير للشعوب . وكنا نأمل ايضا ان

تفهم امريكا لماذا رفضنا امضاء اتفاقية الامن المتبادل ، مع ان جيشنا فى مسيس الحاجة للسلاح .

ولماذا رفضنا اتفاقية رأس المال ، وقت أن كان اقتصادنا يترنح من فرط الأعياء .

ولكن امريكا لم تفهم الى هذه اللحظة التى اكتب لك فيها يابنى .

بعد ان فشل العدوان .

وبعد ان وقع تطور تاريخى شغل العالم كله ، بحيث أصبح من المستحيل قهر ارادة الشعوب او خداعها بطرق جديدة . . هى فى حقيقتها افتك الوان الأستعمار .

الأستعمار يبدأ ببعثة عسكرية

قاتفاقية الامن المتبادل التى تقدمها أمريكا للشعوب البريئة حينما تسعى هذه الشعوب الى طلب العون لكى تحافظ على كيانها ، ليست الا استعمارا مباشرا صريحا .

يبدأ بالبعثة العسكرية الأمريكية ... وامتيازاتها وسيطرتها وينتهى بالسيطرة الكاملة على مقدرات تلك الشعوب ، مصائرهما ، وأرضها ، وسماتها .

وكان من نتيجة ذلك ، أن كل بلد قبلت ، او وقعت هذه الأتفاقية.. تعاني اليوم فراغا خطيرا فى داخلها ، بين الشعوب والحكام ، ولا بد ان يأتى اليوم الذى تنتصر فيه

ارادة الشعوب ، فتملاً الفراغ .. لان الشعوب هى الباقية . .
أما الحكام فهم بشر وإلى زوال .

واتفاقية راس المال التى تقدمها أمريكا للشعوب
الصغيرة الساذجة ، التى تريد أن تبني أقتصادياتها بعرقها
وكفاحها ، مستغلة فى ذلك فقر هذه الشعوب وحاجتها ،
ليست هى الأخرى إلا استعمارا . . أخبث وأبشع من كل
ما عرفه العالم طوال القرون الماضية على يد حلفاء أمريكا .

ونحن نرى اليوم فى عام 1957 كيف ان الدول التى
وقعت فى فخ هذه الاتفاقية ، تعانى التضخم المروع ..
وتواجه أكثر من ذلك كارثة محققة لأن أقتصادياتها أصبحت
تحت رحمة أمريكا . . وأصبحت تعيش على التسول
والاستجداء .

وكما قلت لك يابنى فان هذه الثورة تؤمن بالمثل
وتقدس القيم .

لذلك كان عمك جمال صريحا دائما فى شرح وجهة ،
نظرنا لأمريكا فى كل هذه الأمور ، ولعل هذا هو ما أحفظها
عليه .

فالسياسة الامريكية كالسياسة البريطانية . تؤمن
بالمساومة.. وعمك جمال يرفض المساومة كخلق وكمبدأ
على السواء ، لأن ما يراد المساومة عليه ، هو من صميم
مصالحنا وشرفنا وسيادتنا .

وبرغم رفضنا للاتفاقيتان وتفسيرنا الصريح لهما ، فان أمريكا لم تياس بل عادت الى الابتسام مرة أخرى بل الى آمال أكثر أشراقا مما بدأت به هذه المرحلة .

اتفاقية السودان

كنا قد عقدنا اتفاقية السودان مع بريطانيا فى مارس سنة

1952 وكان السودان هو الصخرة التى تتحطم عليها كل مفاوضات سابقة بين مصر وبريطانيا بشأن جلاء قوات الأخيرة عن أرض مصر .

وهكذا كان يقول رجال السياسة فى مصر .

وهكذا كانت تحتج بريطانيا دائما لكى يستمر احتلالها لمصر أما وقد عقدت اتفاقية السودان فقد زالت أكبر عقبة من الطريق .. وطلبنا من بريطانيا الدخول فى مفاوضات من أجل الجلاء .

وشكل وفد المفاوضة .. وبدأت المفاوضات .

كان واضحا من أول لحظة أن بريطانيا كعادتها .. تساووم وتلف .. وتدور من أجل أبقاء مصر تحت سيطرتها .

وبقيت أمريكا خارج الحلقة لكى تقوم بدور الوسيط .

ولابد لى ان أعود فأقرر هنا أن كافرئ سفير أمريكا قام بدور مشرف كرجل يؤمن بالعدالة وبحقوق الشعوب .

وأستطاع هذا الرجل أن يزيل من نفوسنا الى حد ما ماأحسناه من مرارة عقب اكتشافنا لنوايا أمريكا بعد حكاية الاتفاقيتين اللتين رفضناهما . . ولكن واشنطن ظلت مخلصه لأهدافها التي تحويها تلكا الاتفاقيتين . . بل أسوا من ذلك أن أتضح لنا أن واشنطن تؤمن بوسائلها وأهدافها إلى حد السفه والغرور .

عقلية ساسة واشنطن

لقد كان يسيطر على عقلية ساسة واشنطن ورجال الحرب فيها بعد الحرب الثانية – ولا يزال الى يومنا هذا – حلم السيطرة على الشرق الاوسط واخضاعه لاحلاف الغرب لأن ذلك يشكل حلقة من حلقات الحصار الذي تفنتت أمريكا وحلفاؤها فى فرضه على روسيا والكتلة الاشتراكية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

والعجيب يا بنى أن أمريكا وحلفاءها خاضوا هذه الحرب جنبا الى جنب مع روسيا ضد عدو مشترك هو المحور؟ الذى كان يتكون من ألمانيا الهتلرية وايطاليا الفاشستية ، ولكنه ما أن انتهت تلك الحرب حتى انقلب الحلفاء الى أعداء ، وأنقسم العالم إلى كتلتين ، شرقية وغربية : الشرقية هى روسيا وحلفاؤها من الكتلة الأشتراكية ، والغربية هى أمريكا وحلفاؤها من الكتلة الرأسمالية .

ومن هنا ينشأ جوهر مشكلتنا مع امريكا وحلفائها الذين لم يتورعوا عن أن يشنوا هجوما مسلحا على مصر ،

ويقتلوا النساء والأطفال ، ويهدموا البيوت لأننا نصر على أن لا نتبع الغرب أو الشرق .

عجلة أمريكا وحلفائها

من أجل هذا ظلت أمريكا تمنى نفسها طويلا بربطنا الى عجلتها وعجلة حلفائها بدلا من أن نسير فيما أرتضينا ، لانفسنا من حياد بين الكتلتين ، فلما فشلت تأمرت مع حلفائها لتجويع شعب مصر بسحب معونة السد العالى ظنا منها إن ذلك سيخضع هذا الشعب فيركع لها على ركبتيه . ومن اجل هذا أيضا تطلق أمريكا صحافتها اليوم فى سعار مجنون لكى تجعل من عمك جمال ديكتاتورا متعننا لأنه يتمسك بحقوق شعبه وبكرامته ويسيادته ، ولكى توهم العالم أن مصر الدولة الصغيرة الشابة انما هى غول سيفتك بأمن العالم وسلامته .

الفصل السابع

- الخلاف بيننا وبين الغرب
- قالوا عمك جمال ديكتاتور!
- العدوان السلمى
- المرحلة الثانية : مرحلة التضليل

الخلافا بيننا وبين الغرب

وأعود الى حديثى فأقول ، ان أول خلافا جوهرى وقع بيننا وبين الغرب بزعامة أمريكا كان على نظرية الأحلاف ، فأمرىكا كانت قد اعدت حلقات من الأحلاف تطوق بها روسيا حلقة واحدة هى حلقة الشرق الأوسط ، لذلك عرضت علينا أول الامر حكاية الأمن المتبادل التى تستطيع بوساطتها أن تسيطر على قواتنا المسلحة ، فلما رفضناها رفضا باتا اصبح لابد من طريق آخر ..

وظهرت نظرية الدفاع عن الشرق الأوسط . .

بدأت أمريكا بحكاية " الخطر الشيوعى " الداهاى الذى يهدد المنطقة.

وبدا واضحا لنا يابنى بعد حكاية الإتفاقيتين اللتين حكيت لك عنهما وهما " اتفاقية الامن المتبادل " و " اتفاقية راس المال " أن السياسة الأمريكية ليست لله ، ولا لحق تقرير المصير، ولا لنصرة الشعوب الصغيرة كما تقول الدعاية ..

وهى ليست أيضا سياسة برينة مستقيمة مجردة من الاهداف والغايات كما يحاول الدبلوماسيون الامريكان ان يقتعوا الناس دائما على طريقة " الهليهيه " الأمريكيةانية وإنما هى سياسة

ذات أهداف محددة مرسومة وغايات أشد جشعا وأكثرفتكا من كل ما أستنبطه الأستعمار فى القرون الماضية.

فالاله فى أمريكا ليسى هو الله الذى عرفتنا به الكتب
السماوية وارشدنا اليه الأنبياء ..

وانما الأله فى أمريكا هو الدولار ..

هو الذى يعز وهو الذى يذل ، هو الذى يمنح ، وهو الذى
يمنع . هو مصدر كل القيم خلقية كانت أو بشرية هو
المسير لهذا الكون . وهو المنظم لفلك هذه الحياه . هو
الظاهر فوق الخلق .. والذى تذل له رقاب البشر وينحنى
أمام جلاله دهاقين السياسه وقادة الشعوب، هو الذى يأخذ
بريقه بالابصار ويسيل له لعاب الناس فى كل الأمصار ، هو
النور اذا وجد ، والظلمة اذا اختفى ، هو اصل الحياه
ومنتهى آمال الكون .. هو الذى يهب الحماية والاستقلال ،
وكل ما عداه ذل واستعباد..

هو الدولار لا اله الا هو فلتخضع له العباد ولتسجد له
الشعوب.

ديانة أمريكا الداخلية

وكان يمكن إن يكون الخطب يسيرا اذا احتفظت أمريكا
لنفسها بهذه الديانة ، وذلك الاله داخل حدودها ، ولكن الإمر
تعدى ذلك الى الخروج بهذه الديانة الى العالم ، لا للتبشير
بها ، وإنما لارغام الناس بكل الطرق على اعتناقها والايمان
بها ، والا كان التهديد ، وكان الوعيد . وتحركات الإسطول
ذى البأس الشديد .

انتى أكتب لك يابنى هذد الكلمات فى مستهل 1957 أى

بعد

www.anwarsadat.org

حوالى خمس سنوات من الوقت الذى وقعت فيه مسألة
اتفاقيتى الامن المتبادل ، ورأس المال ، وخلال هذه
السنوات الخمس وقعت تطورات هائلة أحدثت تغييرا شاملا
فى تاريخ البشرية .

ومع ذلك فالسياسة الامريكية ، التى قلت لك : أن لها
أهدافا محددة مرسومة . مازالت فى سنة 1957 كما كانت
فى سنة 1952 بل زادت سوءا وتبجحا بعد ان كانت فى
الماضى تصطنع بعض الحياء .

ويقبنى يابنى ان ذلك يرجع الى عدة اسباب منها :
أولا : أن الأله الذى أتخذته أمريكا لنفسها أله ابكم وأعمى وأصم
وهو الدولار ، فبينما يغفر الاله الذى نعرفه نحن فى بقية
انحاء العالم ، فان أله أمريكا ، لا يرحم لانه من مادة
عناصرها الجشع والطمع والسيطرة .

وبينما يحب الأله .. الذى تعرفه البشرية جمعاء لا فرق
بين أبيض ولا أحمر ولا أسود ولا أصفر .
نرى أله أمريكا لا يحب إلا ذاته ويعتقد أن البشر قد
خلقوا للتزلف له والمهانة بين يديه .

ولعل هذا يفسر الغرور الذى تتسم به تصرفات أمريكا
فى السياسة بل وفى أبسط مظاهر الحياة ، وكأن الله لم
يخلق شعبا أوتى من كل شىء إلا هذا الشعب .

اله أمريكا هو اله الصهيونية

ومن هذه الاسباب أيضا سيطرة الصهيونية العالمية المطلقة على كل شىء فى أمريكا .
وهذا الامر لم يأت اعتباطا ولا من قبيل المصادفة ، فآله الصهيونية هو نفس آله أمريكا .. هو الدولار ..

وخطط أمريكا هى نفس خطط الصهيونية التى تهدف الى السيطرة على العالم ..

وضمير امريكا مشتق - للأسف - من ضمير الصهيونية الذى لا يعترف بالعدالة ، ولا بالقيم ، ولا بالحقوق .

فالعدالة فى نظر إمريكا والصهيونية تعنى ان كل جريمة ترتكب لمصلحة امريكا او الصهيونية هى عدل وحق ، وكل فضيلة على وجه الارض لا تعود على إمريكا والصهيونية بالمغانم والمكاسب فهى رذيلة مذمومة مهما كان راي الشرائع والاديان .

أن هذه النقطة بالذات ، وهى سيطرة الصهيونية على أمريكا تشكل المحور الاساسى لعلاقتنا مع امريكا ، وتفسر الكثير من تصرفات أمريكا المتناقضة والتى ستظل متناقضة وعمياء حتى يكتب إليها الحقيقى لأمريكا الخلاص أن كان لها خلاص .

لقد أعترف " ترومان " رئيس امريكا بقيام دولة اسرائيل من قبل ان تعلن العصابة الصهيونية فى تل أبيب قيامها ، وخرجت صحافة العالم فى اليوم التالى تحمل صورة رئيس

أمريكا وهو يحتضن العلم الاسرائيلي اعلانا للعالم بأن الدولة الجديدة ربيبة أمريكا .. ومن صنع يديها.. وفلذة من فلذات كبدها .

ولم تحفل أمريكا ان يكون قيام هذه الدولة على أرض معتصبة.. وحقوق مسلوبة . . واشلاء وجماجم ومذابح يندى لها جبين البشرية ، بل على العكس من ذلك لازالت أمريكا الى هذه اللحظة يابنى تغدفت على إسرائيل كل شيء حتى بعد ان دمغها العالم كله بالعدوان والخيانة والغدر، فقد كافأتها أمريكا على العدوان باعتماد المساعدات جهازا نهارا لكي يستقيم اقتصاد إسرائيل الذي حطمه العدوان ، وكافأتها برسالات الاغذية والقمح التي أرسلت الى إسرائيل مجانا في الوقت الذي رفضت فيه أمريكا نفسها أن تباع مصر قمحا بحر مالها ، وأدوية كان الشعب في حاجة اليها ، ومصر هي المعتدى عليها وإسرائيل هي المعتدية .

استنكر الناس حتى الامريكان

وقد تعجب يا بنى حين تقرأ هذه الكلمات من هذا المنطق الأمريكى السخيف المغرور ، ولكن هذه هي الحقيقة التى نعيش فيها اليوم ، وامريكا لازالت تعتقد أنها تستطيع ان تشتري كل شيء بالدولار حتى الضمان والخلق والكرامات ، وسترى يا بنى أنه خلال المراحل الثمانى التى أروى لك قصتها والتي بدأت بمرحلة الآمال ، أقول سترى يا بنى ان هذا المنطق الأمريكى المقلوب المغرور ظل يوجه سياسة أمريكا فى كل مرحلة منها إلى ان انتهى بأمريكا الى نوع من الهستريا جعلها تخرف ففتهم الوطنية بأنها شيوعية دولية

وترسل بأكبر حاملة طائرات فى العالم إلى البحر الابيض المتوسط لكى تؤكد للدول العربية الصغيرة قوتها وبأسها فى مشهد أضحك الناس ، واستنكره العالم بما فيه بعض الامريكيين انفسهم ..

ولنعد يا بنى الى مرحلة الآمال:

فانه بالرغم من المعانى التى خرجنا بها من قصة اتفاقيتى الإمن المتبادل ، ورأس المال ، فاتنا لم نفقد الأمل فى امريكا ، وكنا قد أنتقلنا الى سنة 1953 ، وقتنا لعل أمريكا تريد ان تجس . نبضنا بهذه الاتفاقيات كما فعلت مع غيرنا ولعلها بمد أن تلقت ردنا ، بالرفض ان تعود إلى رشدنا وتعرف أننا لن نقبل أية سيطرة أجنبية تحت اسم آو ستار، وان الدولار بالنسبة لنا لا يعنى اكثر من انه دولار ، ولن يكون الها لنا نعبده من دونه ال له.

الكشف الذى طلبته أمريكا

ثم حدثت مفاجأة جديدة فقد أرسلت الحكومة الأمريكية تطلب منا أن نوافيها بكشوفات الاسلحة والمعدات التى نريد شراها لاستكمال تسليح الجيش ، واعتقدنا ان تغيرا ، لابد قد حدث فى العقلية الأمريكية معناه أن أمريكا بدأت تتفهم موقفنا وأنها تريد صداقتنا ، وأعدنا الكشوف فعلا وكنا قد تعبنا من قبل فى اقناع الامريكان اننا لانريد السلاح لنعتدى به على احد بل لندافع به عن انفسنا ، فنحن نريد ان نبنى بلدنا ولن نستطيع أبدا أن نبدأ البناء والتهديد قائم على حدودنا . وفى قلب وطننا العربى ، وأرسلنا هذه الكشوف

الى الحكومة الأمريكية وجلسنا نمنى أنفسنا بالآمال من جديد .

ولم يمضى وقت طويل حتى جاء رد الحكومة الأمريكية .. لقد كان هذا الرد ايدانا ببدء فترة من فترات المطاولة وكسب الوقت من جانب أمريكا حتى تعدل خططها لكي تصل إلى نفس أهدافها المرسومة ، ولكي نظل نحن فى الحلم اللذيذ فلا نفيق أبدا حتى لا ندرك الحقيقة .

فماذا قالت الحكومة الأمريكية فى ردها ؟

جاء رد الحكومة الأمريكية يا بنى يقول انها تلقت كشوفات السلاح المطلوبة للقوات المسلحة المصرية ، وأنها - أى الحكومة الامريكية - قد اعدت فعلا بعض هذه الأسلحة للشحن . . فانها ترى أن تقوم بمئة من الضباط المصريين لمعاينة هذه ، الشحنات قبل شحنها فى أمريكا ، ومن جهة أخرى.. فان هذه البعثة تستطيع أت تعين ايضا مختنف الأنواع الأخرى من الأسلحة الأمريكية .. التى لم تعد بعد للشحن .. وأية أسلحه أخرى قد تكون ذات فائدة ، ولم ترد فى الكشوف المصرية .

ولم نضيع دقيقة واحدة بعد وصول هذا الرد . فقد عينت القيادة العامة أفراد البعثة المصرية .. وزودتها بكافة التعليمات اللازمة ، ومن جهة اخرى بدأت السلطات المصرية فى دراسة التفاصيل المالية الخاصة بهذه الصفقة مع السفارة الأمريكية . . فالصفقة لم تكون معونة ولاهبة ..

وانما كان الاتفاق على أن تكون صفقة تجارية بحثة لا دخل فيها للسياسة ولا للقيود او المساومات .

سفر البعثة

وسافرت البعثة الى أمريكا ، وفى كل يوم كنا نترقب إنباءها فى شوق ولهفة . . برغم انه لم يكن قد مضى على قيام الثورة الا شهور ... وكان الوضع الداخلى يستحوذ على كل اهتمامنا ووقتنا. ولكننا كنا نؤمن من اول يوم أن أى بناء فى الداخل سوف يكون بناء على الرمال اذا لم يكن للشعب جيش يستطيع ان يدفع عنه العدوان من الخارج .. وعدونا ليس بعيدا عنا . وأنما يقبع على حدودنا ويتربص بنا ليل نهار ، بل أن هذا العدو يتلقى كل يوم طوفانا من المعونات . . تارة على شكل اموال ، وتارة أخرى على شكل سلاح وعتاد .. لكى يكبر وينمو ويفرض وجوده بالحرب والعدوان .

مفاجأة

وبينما نحن ننتظر البعثة التى سافرت لكى تعين الاسلحة كما طلبت أمريكا ، فوجئنا فى يوم بعودتها من امريكا ثم جلسنا نستمع الى تقرير أعضائه .

فلم يكن هناك سلاح معد للشحن.

والذى سمح للبعثة ان تعينه لم يكن الا أنواعا من الاسلحة الصغيرة التى لم نطلبها ولسنا فى حاجة اليها البتة.

وأكثر من ذلك ، فإن البعثة أوضحت كيف أهملت من جانب الحكومة الأمريكية أهمالاً تاماً ، وكيف ان المسؤولين الأمريكيين الذين احتكوا بأفراد البعثة فى الحفلات الخاصة كانوا لا يعلمون شيئاً عن هذا الموضوع ، بل أكثر من ذلك أحس أفراد البعثة بحذر شديد من كل من قابلوه من المسؤولين الأمريكيين ، ولما سألوا عن الكشوفات المصرية التى أرسلت للحكومة الأمريكية كطلبها ، لم يرد عليهم احد بخير أو بشر.. وتركوا عاطلين فى واشنطن لا أحد يتصل بهم ، ولا أحد يجيبهم اذا سألوه .

وهكذا اتضح لنا يابنى أن الامر لم يكن الانوعاً من التخدير ، هذا فى الوقت الذى كانت فيه السفارة الأمريكية هنا فى مصر لاتزال تبذل الوعود ، وتطلق البخور ، وتبشر بالخير العميم والآمال العظام .

محاورات أمريكا

لقد وصلنا الى هذا الموقف فى مستهل عام 1953 . .
أى بعد مرور ستة أشهر فقط على قيام الثورة ، ومع ذلك
لنبتت أمريكا تحاور وتناور طوال سنة 1953 ، وسنة 1954
بغرض كسب الوقت وتخديرنا أطول فترة ممكنة حتى تأتى
اللحظة الحاسمة فنسلم لها فيما تريد من استقلالنا،
وسيادتنا، ومصيرنا .

فى مارس سنة 1953 بدأت مفاوضات السودان بينا
وبين بريطانيا وانتهت بتوقيع اتفاقية السودان ، وتلا ذلك
مفاوضات الجلاء بيننا وبين بويطانيا فى نفسى الصيف من
هذا العام ، ولم تضع أمريكا هذه الفرصة فطلبت إينا أن
نؤجل موضوع الاسلحة إلى ما بعد الوصول الى اتفاق بيننا
وبين بريطانيا ، وقالت فى تبرير ذلك - ان الانجليز هم
حلفاؤها الاول ، وأن المفاوضات البريطانى سوف يحس
بالحرج حين يرى الأسلحة ترد الى مصر فى الوقت الذى لم
يتفق فيه على الجلاء ، وقد يظن البريطانيون ان فى هذا
العمل تقريبا للمفاوض المصرى على البريطانى.. وطلبت منا
أمريكا أن نقدر ظرفها على أن نكون واثقين تمام الثقة انه
فى اليوم الذى نوقع فيه اتفاقا مع بريطانيا - فان أمريكا
ستبادر وتبيعنا كل ما نريد من أسلحة .

ووافقنا على هذا العرض من جانب امريكا

فان موافقتنا او عدم موافقتنا لم تكن تجدى بعد ان
اتضح لنا ما اتضح من نوايا أمريكا بمد حكاية ميثاق الامن

المتبادل ، وأتفاقية راس المال ، والبعثة المصرية . ولا أقول اننا فقدنا الامل نهائيا من ناحية أمريكا فى تلك ، الظروف وانما قلنا المثل العامى عندنا " خليك مع الكداب لحد باب الدار " .

وبدأت مرة اخرى فترة مزدهرة من فترات مرحلة الآمال.

فقد بدأت المفاوضات بينا وبين بريطانيا فى صيف سنة 1952 من اجل الجلاء فى جو كئيب مظلم ، وبدأت بريطانيا ، كما كنا نتوقع تماما ، بداية لا يمكن معها المضى شبرا واحدا ، فبريطاني تؤمن ، بالمساومة كخلق وكمبدأ ، ونحن نرفض المساومة ونعتبرها خلقا رديئا لا يستقيم مع الشرف ولا مع المبادئ . .
وأمر آخر ..

أن بريطانيا حين تساوم فى قضية كقضية الجلاء فانها تساوم ، على شىء لا يخصها ولا تملكه ، وهى مصر ، ولكن مصر حين تقبل مبدا المساومة فانها تكون قد سلمت فى كل شىء لأن أية مساومة ، مهما كانت ضئيلة تعنى أن تعطى مصر، واذا أعطت مصر تكون قد جزأت سيادتها ، ولما كانت السيادة لاتتجزأ .. فان النتيجة هى أن مصر تكون قد سلمت فى أعز شىء وهو السيادة فى الوقت الذى لن يفقد فيه الطرف الآخر شيئا على الإطلاق لأنه - فضلا عن تمسكه بسيادته - يفرض على بلدنا أيضا هذه السيادة .

قالوا عمك جمال ديكتاتور !

إنهم يقولون في مسألة تأميم القناة .. ان عمك جمال صلب ويثير المتاعب لأنه لا يقبل المساومة.. ثم يكملون القصة بأن عمك جمال ديكتاتور لأنه يريد أن يملأ أرادته .

وحتى اذ؟ سلمنا أن المساومة لا تتعارض مع الشرف ، ففي أى شيء كان سيساوم عمك جمال في القناة .

إن القناة ملك لمصر وجزء لا يتجزأ منها .. باعتراف كل المعاهدات الدولية ، واعتراف بريطانيا وأمضائها في أكثر من معاهدة .

ومصر أمت شركة القناة .. وهى شركة مصرية تخضع للقانون المصرى .

ومصر التزمت - بعد التأميم - بأن تباشر جميع المسئوليات التى كانت تقوم بها الشركة المؤسسة ، واعلنت على لسان عمك جمال رسميا . تمسكها بمعاهدة 1888 الخاصة بحرية الملاحة .

فماذا بقى ليساوم عليه عمك جمال يا بنى .. كما يريدون ؟

أرادوا فرض استعمار جماعى

لم يبق إلا شيء واحد هو أن يسلم لهم عمك جمال فيما كانوا يريدون قبل العدوان ، وأثناء العدوان وبعده ، وهو

أن يفرضوا على مصر استعماراً جماعياً تحت اسم " اللجنة الدولية " - بعد أن كان هذا الأستعمار استعماراً أنجليزياً فقط - تشترك فيه هذه المرة أمريكا وفرنسا وتواجههما وذيولهما الذين يعيشون على الصدقة والاستجداء .
ورحم الله الخجل .. ورحم الله الحياء . .

أعود بك إلى حديثي يا بنى ، ففي الفترة الباقية من مرحله الآمال ، أى من صيف سنة 1953 إلى أن وقعت اتفاقية الجلاء التى نسفها العدوان ، أقول كان سلوك أمريكا فى هذه الفترة مشرقاً باسم .

فقد استمرت هذه المفاوضات قرابة سنة ونصف ، كانت بريطانيا تبذل فيها كل جهدها وتصطنع صنوفاً من الحيل والخداع لكى تجعل لها فى سيادة مصر حقاً ، وانقطعت هذه المفاوضات أكثر من مرة ، بل إننا فى نهاية عام 1953.. وبعد أن قطع عمك جمال المفاوضات للمرة الثانية ، اجتمعنا وقررنا القيام بمعركة مسلحة لطرد بريطانيا من مصر وحددنا لهذه المعركة شهر يناير سنة 1955، وكلف جميع الوزراء فى هذا الاجتماع بتوجيه سياسة وزاراتهم نحو انجاز هذه المعركة.

فى هذه الفترة بالذات بدت أمريكا - كما قلت لك يا بنى - مشرقة باسم .

وقد حكيت لك يا بنى فيعاً مضى عن سفير أمريكا فى ذلك الوقت وهو المستر كافرى ، وأعود مرة أخرى فأقول ان هذا الرجل كان يبذل كل ما يستطيع لكى يصحح اخطاء

واشنتن عن فهم وادراك لا لنفسيتنا وحدها وانما لمصلحة
أمريكا ذاتها .

www.anwarsadat.org

دور أمريكا فى مفاوضات الجلاء

واليوم ، وبعد كل هذه السنين والتجارب استطع أن اقررلك يابنى حقيقة الدور الذى قامت به أمريكا فى خلال مفاوضات الجلاء بين مصر وبريطانيا .
لقد قدمت أمريكا مساعدة أدبية لمصر فى هذه المفاوضات وهذه حقيقة .
ولكن هل كانت أمريكا تؤمن بحق مصر وهى تقدم هذه المساعدات؟

ان الواضح يا بنى أن أمريكا أخذت بمشورة سفيرها كافرى ولكن لأغراض أخرى هى نفس الأغراض التى تريد أمريكا ان تحققها اليوم بعد أن فشلت بريطانيا، وفرنسا فى عدوانهما على مصر .

لقد كانت أمريكا تريد دائما ، يابنى ، ولا زالت الى هذه الساعة التى اكتب لك فيها هذه السطور فى عام 1957، إقول كانت أمريكا تريد أن تفرض سيطرتها على مصر بوسائل تظن أنها تخفى على الناس فى الوقت الذى أصبحت فيه سخرية كل الناس .

العدوان السلمى

بدلا عن ان تستخدم أمريكا وسائل بريطانيا الاستعمارية العتيقة المكشوفة ، نراها تلجأ الى وسائل جديدة لكى تحقق لنفسها أهداف الاستعمار البريطانى المنهار .

كانت بريطانيا تطلق على اغتصابها لأرض الغير ، وبقاء جنودها وقواعدها فيها كلمة " احتلال " .

وأمريكا تطلق اليوم على نفس العمل كلمة " أمن متبادل " وكانت بريطانيا تتحكم فى أرزاق العباد بسيطرتها على منطقة الاسترليني .

وامريكا تريد اليوم ان تتحكم فى أرزاق العالم كله بسيطرتها على البنك الدولى .

وكانت بريطانيا ولا تزال تتوسل الى تحقيق أهدافها فى البلاد الأخرى بأحداث الفتن والانقلابات والمؤامرات تحت اسم مصالح الامبراطورية البريطانية .

وامريكا تفعل اليوم نفس الشئء بصورة اكبر وأبشع تحت اسم "الخطر الشيوعى " تارة و " الشيوعية الدولية " تارة أخرى .

ولما فشل عدوان بريطانيا وفرنسا فى تحقيق اهدافه فى مصر قامت امريكا لتحقيق نفس أهداف العدوان ولكن بطرق سلمية .

فقد رفضت ان تفرج عن أرصدة مصر ، ورفضت أن تبيع لنا القمح والدواء ونحن معتدى علينا فى الوقت الذى وهبته لاسرائيل المعتدية لا لشيء الا لفرض حصار اقتصادى تتوهم امريكا أنها ستفلق بمقتضاه فى اسقاط عمك جمال عبد الناصر وهو نفس هدف عدوان بريطانيا وفرنسا . وأمريكا تردد على لسان المسئولين فيها، وعلى رأسهم أيزنهاور نفسه، بحق اسرائيل فى استخدام قناة السويس وخليج العقبة اعتقادا منهم إن ذلك سيخلق ضغطا سياسيا على مصر يجعلها تسلم فى النهاية لمطالب اسرائيل وأطماعها ، وهو نفس هدف عدوان بريطانيا ، وفرنسا، واسرائيل. .

وأمرىكا تعلن على لسان وزير خارجيتها تأييدها لفرنسا ضد المجزرة البشرية التى ترتكب ضد عرب الجزائر ، و تعلن أيضا عن تصميمها على تزويد فرنسا بالمزيد من الاسلحة لكى تستمر هذه المجزرة ، وتحرك أسطولها – فى نفس الوقت – فى البحر الابيض المتوسط للتهديد والوعيد لكى تفتت العالم العربى وتفرض عليه نفوذ الغرب . . وهو نفس هدف عدوان بريطانيا ، وفرنسا .

وأردت من سرد هذه المقارنات يابنى أن أقول لك ان أهداف أمريكا فى عام 1952 يوم قيام الثورة هى نفس أهداف أمريكا عام 1957 بحد فشل العدوان ، وأن أية مساعدة تقدمها امريكا ليست لله .

ولقد قدمت لنا أمريكا يا بنى مساعدة فى مفاوضات
الجلاء ،
فماذا كان الثمن الذى طلبته .

المرحلة الثانية : مرحلة التضليل

من عادتى ان أحتفل بعيد مولدى على غير ما تعود
الناس أن يحتفلوا بأعياد الميلاد ، فأنا أركن فى هذا اليوم
من كل سنة الى الوحدة ، والتأمل ، والتأمل فى الماضى ،
والحاضر، والمستقبل ، بل انى أستعيد كل ما مضى من
حياتى منذ ان بدأت أدرك الأشياء وأحسى من حولى بهذا
الكون .

أستعيد كل شىء استطاعت ذاكرتى ان نختزنه أو تتفعل
به ، واستعرض موكب عمرى عبر السنين الماضية بكل
مافيه من مشاهد فيها الألم وفيها الفرح ، فيها اليأس وفيها
الأمل ، فيها السذاجة وفيها النضج ، فيها الفشل وفيها
النجاح ، فيها الخيبة وفيها اليقين ، فيها الخطأ وفيها
الصواب .

مشاهد فيها من كل ما يحيط بالبشر - فى هذا الوجود
- من صروف وأنفعالات ، وترأتى يابنى وأنا استعرض هذا
الموكب فى قمة النشوة وأوج السعادة ، فأنا اجد نفسى
وأعرفها من خلال رحلة هذا الموكب .

أعرفها فى الخطأ كما أعرفها فى الصواب ، وأعرفها
فى الفشل
كما أعرفها فى النجاح .

ومن وجد نفسه واهتدى إليها يا بنى فى خضم هذه
الحياة طابت له الأيام ، وعمر قلبه اليقين ، واستطاع إن
ينعم ضميره بالنور والصفاء .
هكذا أعيش يوم مولدى فى تأمل لذى يا بنى ، واستمتع
فيه بأجمل وأشهى لحظات أعيشها على ظهر هذه الدنيا .

25 ديسمبر سنة 1954

وفى يوم ذكرى مولدى سنة 1954 الذى يوافق يوم 25
ديسمبر من كل سنة جلست أتأمل على عادتى .
كان الاتفاق المصرى البريطانى الخاص بالجلء قد وقع
فى شهر أكتوبر من السنة نفسها وكنا نتأهب لاستقبال
مرحلة جديدة فى العلاقات بيننا وبين بريطانيا وامريكا .

أما بالنسبة لبريطانيا فاننا بدأنا نحس بعض الراحة بعد
توقيع اتفاقية الجلاء ، إذ أن المعركة المسلحة التى كنا نعد
لها لطرده بريطانيا من مصر وما يصاحبها من خسائر
وتكاليف وتعويق لعملية البناء فى الداخل ، أقول أصبحت
هذه المعركة غير ذات موضوع وهذا وحده كسب ضخم
يضاف الى الجلاء . وبدانا نفكر فى إقامة علاقاتنا مع
بريطانيا على أسس غير تلك الشكوك التى كانت تملأ

صدورنا نتيجة لتصرفات بريطانيا طوال أربع وسبعين سنة متصلة من الخداع والكذب والسيطرة .

وهناك عامل آخر يا بني كان يحتم علينا أن نعيد بناء علاقات مع بريطانيا ، هذا العامل هو اننا وقعنا اتفاقية الجلاء – وهى اتفاقية صداقة فى الوقت نفسه – ونحن نحترم توقيعنا مهما كانت الظروف .

وأما بالنسبة لأمريكا فاننا كنا نحس نحوها بالعرفان لما قدمته من مساعدات ادت فى نهاية الأمر الى توقيع إتفاقية الجلاء ، وحدث من غلواء بريطانيا أثناء المفاوضات فى مواطن كثيرة ، ولقد كان هذا الشعور مشجعا لنا لكى نعود فنطلب من أمريكا ان تنجز وعدها الذى أخذته على نفسها بالببدء فى بيع السلاح لنا عقب توقيع اتفاقية الجلاء ، ونسينا حكاية الأمن المتبادل التى صدمتنا بها أمريكا فى الماضى ونسينا كل ماساورنا من شكوك سابقة بشأن اتجاه السياسة الأمريكية.

أمال لم تدم طويلا

وبالجملة كان كل شىء يبشر بالأمل والخير والبركة بيننا وبين كل من بريطانيا وأمريكا عقب توقع إتفاقية الجلاء فى أكتوبر سنة 1954 ، ولكن هذه الآمال لم تدم طويلا إذ أنه ما أن طلبنا من أمريكا أن تفى بوعدنا وتبيع لنا السلاح حتى عادت تتحدث عن حكاية الدفاع عن الشرق الاوسط ، ونظريتها فى ذلك التى تخالف نظريتنا تمام المخالفة ، والتى كانت محل خلاف لا أمل فى اصلاحه بيننا وبين كلام من بريطانيا وأمريكا سواء أثناء المفاوضات أو قبلها .

ولم نياس، وانما بدانا نقتع أمريكا من جديد بأن الدفاع عن الشرق الأوسط يجب ان ينبثق من داخله وأنا يقوم به أبناؤه ، وأنضمت بريطانيا إلى أمريكا فأخذنا نقتعها هي الأخرى على اساس ان النيات سليمة كما كانت نيتنا نحن ، وان الأمر لايعدو أن يكون مناقشة بين اصدقاء تنتهى بافتناع أحد الطرفين بنظرية الآخر .

حتى يتم طبخ المؤامرة

ومرة اخرى كنا سليمى النية وطيبين أكثر من اللازم يا بنى .

فقد كانت أمريكا ، وبريطانيا قد دبرتا فيما بينهما ؟ أمرا ، لم يكن الحديث معنا الا من باب المطاولة والتضليل حتى يتم طبخ المؤامرة لكي تظهر على الملاء .

بدات هذه المؤامرة يا بنى بوصول السيد نورى السعيد رئيس وزراء العراق فى ذلك الوقت الى القاهرة ، وهو فى طريقه الى لندن ، واجرائه مباحثات مع عمك الرئيس جمال ، وكانت خلاصة حديث نورى السعيد هى أنه لا سبيل للعرب إلا بالتعاون مع الغرب وأن أول خطوة لذلك أمضاء تحالف مع بريطانيا وأمريكا .

سيكون هو سبيل الحصول على الاسلحة والحماية فى هذا العالم المضطرب .

وكان عمك جمال صريحا واضحا يا بنى ، فقد أفهم
السيد نورى السعيد أن مصر ، لا ترفض تعاون الند للند
القائم على المساواة التامة ، ولن تتحقق هذه المساواة
ونحن ضعفاء والطرف الآخر قوى . فالتعاون فى هذه الحالة
. معناه تحكم الغرب فينا . كما كان يحدث فى الماض .

اما مبدأ الاحلاف فقد رفضه عمك جمال يا بنى من
أساسه لأن هذه هى السياسة التى يؤمن بها شعب مصر
حتى من قبل قيام الثورة . .

ثم أثار عمك جمال القضايا العربية التى بين العرب
والغرب والتى يرفض الغرب بعناد أن يعيد فيها الحقوق إلى
أصحابها العرب .

التعاون ممكن.. ولكن بشرط

وأنتهى عمك جمال يا بنى الى أن التعاون ممكن فى كل
الظروف بشرط أن تخلص النيات .

وشرح للسيد نورى السعيد نظريتنا فى الدفاع عن
الشرق الاوسط والتى سبق شرحها مرارا لبريطانيا وأمريكا
، وأن العدو الحقيقى لهذه المنطقة ليس هو الذى يعيش على
بعد آلاف الأميال ، وانما هو إسرائيل التى تقبع فى قلب
الأمة العربية وفى قلب الشرق الاوسط .

ولم يقتنع السيد نوري السعيد طبعاً ، ولكنه قال فى ختام حديثه انه ذاهب الى لندن لكي يستبدل المعاهدة العراقية - البريطانية باتفاق كالاتفاق الذى وقعته مصر مع بريطانيا بشأن الجلاء . . وسافر السيد نوري السعيد الى لندن ثم عاد إلى تركيا .

حدث كل هذا فى الشهرين الأخيرين من سنة 1954 أى فى نوفمبر وديسمبر سنة 1954 وأيراد هذه التواريخ مهم يا بنى لأنك ستحتاج إليها .

أول قرار علنى بالإجماع

وفى ديسمبر سنة 1954 حدث حادث آخر له دلالاته من وجهة نظر علاقات العرب بالغرب .

فقد اجتمع وزراء خارجية الدول العربية فى القاهرة فى 12 ديسمبر سنة 1954 . على ما أذكر ، وقرروا لأول مرة علنا أن التعاون مع العرب ممكن بشروط . منها تسوية القضايا العربية ومنها أن يمد الغرب العرب بأسباب القوة . والمهم فى هذا القرار أنه أول قرار يصدر عنا وبالإجماع وينشر على الشعوب العربية كلها ، وفيه إمكان التعاون مع الغرب برغم ما بين هذا الغرب والشعوب العربية من ثأر على رأسه مشكلة فلسطين ، ولكن بريطانيا وأمريكا فهمتا هذا القرار بطريقتهما الخاطئة دائما فأعتقدنا أن العرب يسلمون كعادتهم وبدلاً من أن تبحث كل من بريطانيا وأمريكا شروط هذا التعاون وتزيل أسباب الخلاف بدأتا فى أظهار المؤامرات إلى حيز الوجود .

فما أن جاء شهر يناير سنة 1955 وانقضت منه عشرة أيام حتى وقف نوري السعيد يعلن عن امضاء ما يسمى بحلف بغداد فى نهاية زيارة رئيس وزراء تركيا لبغداد فى ذلك الوقت .

وهكذا! أعلنت المؤامرة التى كانت تطبخ فى امريكا ، وبريطانيا منذ وقت طويل ..

وبدأنا نستعيد الشريط

وهكذا اتضح أن حديث امريكا معنا عن الصداقة منذ الايام الأولى للثورة لم يكن الا ستارا خداعا ، وان وعودها ببيع السلاح لنا لم تكن إلا مطاولة لكسب الوقت حتى تتمكن من تنفيذ مشروعاتها فى المنطقة ووضعنا امام الأمر الواقع ، فاما أن نسلم واما أن نموت .

وبدأنا نستعيد الشريط من جديد .
أمن متبادل ..

اتفاقية رأس المال .

وعود لا قيمة لها ولا حساب .

وهكذا انتهت المرحلة الثانية.. مرحلة التضليل بظهور حلف بغداد الاستعماري المشنوم .

الفصل الثامن

- المرحلة الثالثة: مرحلة ظهور النوايا
- المأساة التي شهدتها القاهرة
- مساومات على الشرف

المرحلة الثالثة

مرحلة ظهور النوايا

لقد ظنت أمريكا وبريطانيا يا بنى أننا سنسلم أمام الامر الواقع ، حينما يظهر حلف بغداد إلى الوجود ، كما حدث فى شهر ، يناير سنة 1955 .. أو لعلهما اعتقدتا اننا لن نلفظن الى أهداف هذا الحلف ، ولكننا على العكس من ذلك عارضناه ولا نزال نعارض هذا الحلف لأسباب كثيرة منها :
أول ا: إن صانعى هذا الحلف هم الذين صنعوا إسرائيل وهم الأنجليز ، والأمريكان ... وإسرائيل يقولون عنها انها وجدت لتبقى ، أى انها فى نظرهم دولة من دول الشرق الاوسط الذين يدعون ان هذا الحلف وجد لخدمة أغراض السلام فيه والدفاع عنه ، فقبول الدخول فى هذا الحلف معناه اعتراف كامل بإسرائيل من ناحيتنا ، خاصة وإن الذين صمموا هذا الحلف جعلوا العدو الوحيد الذى يشكل الخطر على المنطقة هو روسيا .. ومفهوم طبعاً ان هذا الأمر فضلاً عن انه يخدم أهداف أمريكا فانه أيضاً يخدم - فى الدرجة الاولى - إسرائيل لأن انظار العرب ستتحول عنها الى روسيا - العدو الرسمى - التى تقع على بعد آلاف الاميال من المنطقة .

ثانياً : ان الشعب المصرى يرفض كمبدأ الدخول فى الاحلاف اياً كانت... ويصبح هذا الرفض عناداً واصراراً اذا ما طلب منه ان يدخل فى شركة مع بريطانيا التى عرفناها اربعا وسبعين سنة ودخلنا معها فى شركة بمقتضى معاهدة سنة 1936 فكانت هذه المعاهدة حبراً على ورق .. لان التعاقد بين

طرفين غير متكافئين معناه سيطرة الطرف الأقوى على الطرف الضعيف ، واملاء الأوامر عليه والتصرف فى مصيره وهو ما يسمى بالاستعمار .

ثالثا : اننا دولة صغيرة توشك أن تتخلص من السيطرة الاجنبية التى عطلت الشعب وتقدمه .. ونريد أن نبني بلدنا لكى لا نظل متخلفين كما تصفنا بريطانيا وأمريكا ، رلا مصلحة لنا فى معادات احد فى هذا العالم ، ولا مصلحة لنا أيضا فى الإحياز الى كتلة دون أخرى من الكتل المتصارعة فى هذا العالم .

هذه بعض الاسباب التى جعلتنا نهب لمعارضة هذا الحلف شعبا وحكومة ، وهذه هى الأسباب نفسها التى جعلت الشعوب العربية كلها تعارض الحلف وتثور عليه .

الماساة التي شهدتها القاهرة

ولقد وضحت نيات أصحاب هذا الحلف من أول يوم عندما أعلنوا صراحة تصميمهم على جر الدول العربية كلها الى عربته ، عندئذ أصبح واضحا ان الهدف الاساسى من هذا الحلف الذى بدأ الدعوة اليه نورى السعيد - عميل بريطانيا الأول - انما هو السيطرة الاستعمارية وليس الدفاع عن الخطر الوهمى .

فقد انطلق الدبلوماسيون البريطانيون والامريكان فى سفارتى بريطانيا وامريكا من أكبر واحد الى أصغر واحد ، أقول انطلقوا يا بنى يؤكدون لنا فى مناسبة وغير مناسبة جهل حكومتى بريطانيا وأمريكا بأمر هذا الحلف الذى أعلنه نورى السعيد ، وكان الدبلوماسيون البريطانيون يقسمون بكل شىء فى حماس غريب لكى يثبتوا براءة حكومتهم ، ولكننا لم نلبث أن سمعنا ايدن - رئيس وزراء بريطانيا وقتذاك - يعلن فى مجلس العموم البريطانى .. وفى ثورة غضب ، أنه هو صاحب فكرة حلف بغداد .. وان الحلف قام لكى يجعل لبريطانيا مركزا ممتازا فى هذه المنطقة .

وهكذا أثبتت بريطانيا يا بنى قبل مضى ستة أشهر على امضاء اتفاقية الجلاء والصدقة معنا أن العقلية الاستعمارية البريطانية هى التى تضع الخطط ، وان مفهوم الصداقة عند بريطانيا هو الخضوع لأوامرها والدخول فى أحلافها والتسليم لسيطرتها وتحكمها ، وان بريطانيا كعادتها كانت تمد احدى يديها لمصافحتنا فى الوقت الذى تحمل فيه فى اليد الأخرى ، خنجرا خنجرا مصوبا إلى ظهرنا .. لقد فعلت

بريطانيا ذلك مع العرب سنة 1917 حينما كانت تفاوض الشريف حسين فى شأن استقلال العرب ووحدهم فى الوقت نفسه الذى كانت تفاوض فيه اليهود لاقامة وطن قومى لاسرائيل ، والذى مهد له بوعد بلفور المشهور .

وستظل بريطانيا وأمريكا تفعلاّن ذلك مع كل شعب ضعيف ، فستعلم يا بنى من روايتى لك أن الأمر فى العلاقات الدولية لم يعد أمر خلق ومبادئ .. وإنما المسألة مسألة قوى وضعيف ، غنى وفقير .

مساومات على الشرف

ستعلم يا بنى ان البشرية تجتاز محنة عصيبة فى زماننا هذا على يد حلفاء الغرب وامريكا بالذات . فاما أن يخضع الناس لهم بالحديد والنار ، واما أن يساوموا الناس على شرفهم وأوطانهم بالذهب والدولار .

واعود الى حديثى يا بنى فأقول : بدانا نعيد تقدير موقفنا من انجلترا وأمريكا على ضوء هذا الحدث الجديد وظلت مقاومتنا تشد وتعنف ، الى أن وقع حدث آخر كان هو نقطة التحول التاريخية فى حياة مصر كدولة مستقلة كاملة السيادة ، بل ان أثر هذا الحدث كان عميقا ومدويا فى العالم كله بحيث اصبح من الأحداث التى سيسجلها التاريخ على أنها نهاية تاريخ ، وبداية تاريخ .

كان هذا الحدث هو عدوان إسرائيل على غزة فى 28 فبراير 1955 .

ولقد وصف مجلس الامن هذا العدوان بأنه " عدوان وحشى ومدبر " وأعلنت حكومة اسرائيل بعد ذلك فى تحد وخيلاء أنها دبرت هذا العدوان ، ويرغم كل هذا لم تحرك أمريكا ساكنا ولم تحرك بريطانيا ساكنا.. ومرت المسألة برغم قرار مجلس الأمن كما لو كان أمرا عاديا.

ناقوس الخطر الذى دق

أما بالنسبة لمصر يابنى فان هذا العدوان كان بمثابة ناقوس الخطر المروع لاعتبارات عديدة .
منها أن توقيت وقوعه جاء فى ابان أشتداد معارضة مصر لحلف بغداد ، وحديث أمريكا عن الصلح مع اسرئيل وضرورة تصفية القضية بينها وبين العرب .

ومنها ارتباط حياة اسرئيل ووجودها بمساعدات أمريكا واحسانها ، ولا يمكن أبدا أو يعقل أن تأتي اسرئيل بما يغضب امريكا أو يثيرها، اما أمريكا فقد أكتفت بأن يصدر مجلس الأمن قراره واعتبرت ان الموضوع منته .

ومنه ايضا ان السلاح الذى تعتدى به اسرئيل أمريكى وبريطانى تحصل عليه اسرئيل بمنتهى السهولة ويدفع ثمنه فى أمريكا من الهبات التى تغدق على إسرائيل بدون حساب وهى هبات معفاة من الضرائب بقانون أصدره ترومان راعى فيه مصلحة اسرئيل . هذا فى الوقت الذى ظلت فيه أمريكا تضحك على ذقوننا ثلاث سنوات كاملة فلم تبيع لنا قطعة سلاح واحدة بل وعدت ، تم راوغت ، ثم سكتت فى الوقت أيضا الذى كانت بريطانيا قد تسلمت فيه ملايين الجنيهات من مصر ثمنا لصفقة من الأسلحة ولكنها لم تورد منها إلا جزء ضئيلا جدا ولم تبد سببا واحدا معقولا لتأخيرها عن توريد الباقي بعد أن قبضت الثمن كاملا.

ومنها أيضا محاولة اذلال مصر التى ظهرت فى صحف بريطانيا وأمريكا وفرنسا تلك الصحف التى أخذت تشيد بقوة إسرائيل وتفوقها على الدول العربية مجتمعة . وإسرائيل

مليون ونصف ، والعرب أربعون مليوناً تبلغ مصر وحدها
ثلاثة وعشرين مليوناً .

اذن فعملية التحكم فى بيع السلاح لنا خطة موضوعة .

وحكاية التصريح الثلاثى المشهور الذى صدر فى سنة
1950 – ولم نعترف به – هو أيضا جزء من تلك الخطة ،
هدفه هو تزويد إسرائيل بالسلاح والقوة ، وحرمان العرب
من هذا السلاح وتلك القوة .

وحديث الصلح مع إسرائيل الذى تبدو أمريكا دائما ،
كلما فتحنا موضوع الأسلحة ، وعدوان إسرائيل الذى يمر
مر الكرام .

هكذا أتضح لنا بعد عملية حساسات بسيطة أن أمريكا لن
تبيعنا قطعة من السلاح الا اذا وقعنا الصلح مع إسرائيل التى
تتحدى مجلس الأمن وتعلن رسميا اذها دبرت العدوان الذى
وصفه ذلك المجلس بأنه "وحشى" .

وان بريطانيا التى وقعت معنا – منذ شهور قليلة – اتفاقية
الجلاء والصدأفة سوف لا تورد لنا الأسلحة التى قبضت
ثمنها بالكامل لان بريطانيا هى شريكة أمريكا الأولى
وحليفتها وصانعة إسرائيل معها وزعيمة حلف بغداد
وصاحبة فكرته ، كما قال رئيس وزاراتها فى مجلس العموم .

كانت لأمريكا وبريطانيا خطة اذن ، وأصبح لابد لنا نحن الآخرين من خطة مضادة بعد أن وضحت النوايا سافرة .

كانت خطة امريكا وبريطانيا هي التحكم فينا عن طريق بيع السلاح واحتكاره ، وكافت خطتنا هي تحطيم هذا الاحتكار الى الأبد ، ونسف أسطورة التحكم والسيطرة عن طريق بيع السلاح من الموردين التقليديين كما كانوا تظنون .

ان المسألة أصبحت لنا مسألة حياة أو موت يا بنى .

فاما أن نسلم لأمريكا وبريطانيا ونعقد صلحا مع اسرائيل بشروطها ، وتنتهى فلسطين وينتهى معها مليون من اللاجئين ، وأما أن نحرم من السلاح فتعدى علينا إسرائيل ثم تغزونا آخر الأمر ، ويصبح اللاجئون اربعة وعشرون مليونا من النيل الى الفرات .

واما ان ندخل أحلاف أمريكا وبريطانيا ونعود مرة أخرى الى ذلك الطوق الأستعماري البغيض فننتلقى لأوامر من جديد ، ونرسل بأبنائنا الى الحرب كما يريدون ، واما أن نحرم من السلاح والحماية فلا يكون امنا من سبيل الا أن نطلب الحماية .

وعيب الاستعمار يا بنى أنه يغتر دانما فى قوته وجبروته ولا يحس أو يعترف بارادة الشعوب ، فقلقت أمريكا وبريطانيا فى حلمهما اللذيذ الذى صور لهما ان مصر لابد راحة على ركبتها أن أجلا وأن عاجل ا، وظنوا ايضا ويظنون إلى يومنا هذا فى سنة 1957 - وأغلب الظن انهم سيظلون على ذلك الظن - " ان الله لم يخلق على الأرض

سادة الا منهم أما باقى البشر فلا بد أن يكونوا عبيدا لهم .
تماما كالعقيدة التى تؤمن بها عصابات اسرائيل من أنهم
شعب الله المختار وأن ما خلقه الله من دون اليهود ليس الا
خدما لهم ، هم والارض والزرع منك لهم .

وقررنا خطتنا فى مارس سنة 1955 يا بنى وجعلنا
لها غرضا محددنا هو أنه لابد من الحصول على السلاح ،
فقد كان السلاح هو آخر. مظهر من مظاهر التحكم والسيطرة
أرادت بريطانيا وإمريكا ان تحتفظا به لاذلانا واخضاعنا
وقتما تريدان .

ثم سافر عمك جمال يا بنى فى مايو سنة 1955 إلى
باندونج لتمثيل مصر فى ذلك المؤتمر التاريخى ، وهناك
أعلن للعالم كله بحضور ممثلى الدول الآسيوية والافريقية
سياسة مصر التى تقوم على الحياد الايجابى ، والأعتراف
بحق تقرير المصير وستقرأ يابنى كثيرا عن هذا المؤتمر
الذى أصبح رمزا للتحرر ومقاومة الاستعمار ، وكان المغزى
العميق لهذا المؤتمر هو اجتماع ثلاثين دولة من آسيا
وافريقيا لأول مرة فى التاريخ بعد أن تخلصت من بير
السيطرة الأجنبية والاستعمار ، ولم يسمح للدول الكبرى
المستعمرة بحضوره أو حتى بايفاد مراقبين إليه .

وبمجرد أن عاد عمك جمال يا بنى من باندونج ، بدأ
على الفور تنفيذ الخطة فاتصل بالغرب والشرق على السواء

أما مع الغرب فقد طلب عمك جمال منهم يا بنى أن يفوا بعهودهم وإلا فسيشترى السلاح من غيرهم ، وإبان لهم أن الأمر لا يحتمل التسوية أو المماثلة لأن كرامة مصر القومية فى الميزان .

وأما مع الشرق فقد أرسل عمك جمال يستفسر منهم عن يبيعنا ما نريد من السلاح .

ولم يرد الغرب .

وجاء الرد من الشرق ، فقد أرسلت تشيكوسلوفاكيا ، تقول انها على استعداد لبيع السلاح ، وانها على استعداد أيضا لبدء المباحثات التجارية لأتمام ما نريد من صفقات .

وظل الغرب ساكنا مرة أخرى ، فقد عرف بعد ذلك أن وزارة الخارجية الأمريكية لم تأخذ الأمر مأخذ الجد وإنما اعتبرت أن كلام مصر هو من قبيل " التهويش " ، لذلك أهملت الموضوع كلية على أمل أن ينكشف التهويش وتعود مصر الى الحظيرة فتخضع وتركع ، ومرة أخرى استسلمت أمريكا وبريطانيا لحلمهما اللذيذ ولم تفيقا منه إلا على حقيقة حازمة هى أن مصر قد عقدت فعلا مع تشيكوسلوفاكيا صفقة اشترت فيها بحر مالها ما تريد من سلاح وعتاد .

اما إسرائيل فقد كان لها حديث آخر خلال هذه الفترة .

ففى صيف هذه السنة نفسها أى سنة 1955 خرج بن جوريون من عزلته وعاد الى المسرح السياسى وفاز فى

الانتخابات وكانت شعاراته التي ملأ بها الشوارع هي " فرض الصلح على العرب بالقوة " وما ان تولى بن جوريون رئاسة الحكومة حتى وقف في البرلمان الاسرائيلي يتحدث عن سياسته واستعداده للالتقاء بالرئيس جمال عبد الناصر ، وعن نوايا اسرائيل السلمية وحديث الصلح ، وحسن الجوار ، وما ان مضت عشر ساعات على هذا الحديث حتى كان بن جوريون يصدر أوامره بوصفه وزيرا للدفاع ، الى قوات الجيش الاسرائيلي بمهاجمة الموقع المصري " الصبحة " .

وأذكر ان مراسلا بريطانيا كان في اسرائيل في ذلك الوقت ثم جاء إلى القاهرة بعد ان ردت القوات المصرية الهجوم الاسرائيلي ، وفي حديث خاص قال لي : انه اجتمع بين جوريون وسأله عن سبب الهجوم على " الصبحة " في الوقت الذي كان ينادى فيه بن جوريون ، بالأجتماع بالرئيس جمال ، فرد عليه بن جوريون قائلا إن كل المعلومات التي تجمعت لديه عقب الفاء خطابه كانت تقول بأن الحالة السياسية في مصر مهددة بالانفجار وأن الرئيس جمال على وشك السقوط ، وان الثورة المصرية على وشك التصفية ولكن الامر يحتاج الى سبب يعجل بالانفجار . . ثم نظر إليه بن جوريون في ثقة وهدوء وقال : انك ستسافر من هنا إلى مصر .

فعجل لكي ترى بنفسك الأحداث وتسجلها .

وجاء المراسل البريطاني وسجل فعلا الأحداث .

سجل أنتصار مصر على آخر قيد من قيود السيطرة ، أذ
سمع بنفسه إعلان الرئيس جمال عن عقد صفقة الأسلحة ،
وسمع وشاهد الشعور فى مصر وفى دنيا العرب وعالم
الأحرار .

وبهذا تنتهى المرحلة الثالثة وهى التى عرفتها لك يا بنى
بمرحلة ظهور النوايا .

الفصل التاسع

- المرحلة الرابعة : مرحلة المساوامة
- الكلاب الضارية تنبح فى هستيريا صاخبة
- حكاية توازن القوى
- العداوة بين رجلين
- معالجة الأخطاء

المرحلة الرابعة : مرحلة المساومة

بدأت هذه المرحلة يابنى عنيفة فى سبتمبر سنة 1955 .
فقد شنت الصحف الأمريكية ، والصحف البريطانية ،
والصحف الفرنسية ، وكثير من صحافة أوربا بالتبعية .
حملة مركزة من الكراهية والتضليل ضد مصر .
أما أمريكا فقد اعتبرت عقد صفقة الأسلحة المصرية
التشيكية ، هزيمة نكراء للسياسة الامريكية فى الشرق
الأوسط .. وهزيمة أيضا لمشاريع أمريكا فى هذه المنطقة .
سواء من ناحية إسرائيل أو من ناحية الأحلاف . وسياسة
الحصار التى تريد أن تطوق بها روسيا .
وبدلا من أن يدرس المسئولون فى واشنطن أسباب هذه
الهزيمة دراسة واقعية ، لجأوا الى التشويش والتضليل ..
وصوروا صفقة الاسلحة على أنها أرتباط مصر بالكتلة
الشرقية ضد أمريكا .. والشعب الأمريكى حساس جدا من
هذه الناحية بعد أن صوروا له الشيوعية على أنها الموت .
وبالتالى أصبحت مصر فى دعاية أمريكا الرسمية أداة من
أدوات هذا الموت الذى يريد أن يطبق على عنق الشعب
الأمريكى المضلل . وطبيعى أن تتعاون الصهيونية . العالمية
مع المستر دالاس مصمم السياسة الأمريكية فى هذه الدعاية

الكلاب الضارية تنبح فى هستيريا صاخبة

والصهيونية العالمية تسيطر فى أمريكا على الصحافة والأذاعة والمال والسينما ، وكل ماله تأثير على الناس .

وبذلك تم تطويق الشعب الأمريكى بطوق حديدى من الدعايات التى طمست الحقائق طمسا كاملا ، وانطلقت الصحف الأمريكية كالكلاب الضارية تنبح فى هستيريا صاخبة ، وتصور مصر كل يوم بصورة أبشع من صورة اليوم الذى سبقه .

فالسلاح الذى أشترته مصر بمالها على أسس شريفة للدفاع عن حدودها وكرامتها ، أصبح فى نظر صحافة أمريكا عدوانا آثما من مصر .. وأصبحت مصر فى نظر هذه الصحافة قاعدة تعد للهجوم .. وأغفلت الصحف الامريكية ، حسب الخطة الموضوعية ، حكاية السنوات الثلاث التى أنفقتها مصر فى التفاوض مع أمريكا لشراء السلاح
واغفلت مذهب الصحافة أيضا - عن عمد- مساومة الحكومة الامريكية لنا من أجل بيع السلاح ، ووعود أمريكا التى نقضتها المرة تلو المرة .

الاعتداءات الثلاثة

واغفلت أيضا هذه الصحافة عدوان اسرائيل المستمر على حدودنا وحدود العرب .. برغم أنه فى نفس هذه السنة وهى سنة 1955، وقعت ثلاثة اعتداءات مشهورة على حدودنا : كان اولها فى 28 من فبراير سنة 1955 على غزة وهو نقطة التحول كما شرحت لك يابنى .

أما الاعتداءان الكبيران الآخران ، فهما اعتداء وقع على نقطة الكونتلا المصرية .. والآخر هو الاعتداء الذى وقع على موقع الصبحة المصرى بعد أن تحدث بن جوريون عن السلام فى برلمان إسرائيل بعشر ساعات فقط .. هذا بخلاف الاعتداءات الأخرى التى كانت مستمرة على حدودنا وحدود سوريا وحدود الاردن .

لم تذكر الصحف الامريكية حرفا واحدا عن حملة بن جوريون فى صيف سنة 1955 والتى كانت تقوم علنا على شعارات كان اهمها فرض الصلح على العرب بالقوة .. ولن تستطيع الحكومة الأمريكية أن تنكر أن الرئيس جمال عبد الناصر استدعى السفير الأمريكى فى ذلك الوقت ، ولفت نظر الحكومة الأمريكية الى مافى هذا الأمر من نوايا عدوانية .

وانما أتحدث الصحف الأمريكية تهاجم مصر ، وتكيل المديح لإسرائيل المسالمة المسكينة .

بل أخذت تطالب الحكومة الامريكية بضرورة التدخل لمنع وصول الأسلحة إلى مصر خوفا على " العزيزة " إسرائيل .

ثم راحت بعد ذلك تطالب بعقد اتفاق بين أمريكا وإسرائيل من الغول الذي سيفتك بها وهو مصر . . . والعجيب ان هذه الصحف كانت الى ما قبل عقد صفقة الأسلحة تفاخر بقوة إسرائيل ، وانها تستطيع أن تهزم الجيوش العربية ، مجتمعة ، وعلى رأسها الجيش المصري .

حكاية توازن القوى

كان هذا هو مسلك صحافة أمريكا .. ولم يكن مسلك الحكومة الأمريكية بأقل حماقة من مسلك صحافتها ، لأن الأمر كله كما قلت لك يابنى كان يسير حسب خطة مدبرة . . . فانطلقت التصريحات الرسمية تتهم مصر وتهاجم مصر فى كل اتجاه ، تحت ستار ماسموه بتوازن القوى فى الشرق الأوسط والتصريح الثلاثى الصادر فى سنة 1950 .

ولقد كان هدف الحكومة الأمريكية وصحافتها من الهجوم على مصر ، هو اثاره بلبلة وقلقله وشن حرب أعصاب على مصر ، يكون من نتائجها أن تعدل مصر عن صفقة الأسلحة هذه ، وتعود فترتمى فى أحضان أمريكا ، أو ينقلب الوضع فى مصر ، وتحدث ثورة يكون قادتها هم عملاء أمريكا وحلفاءها .

أى أن أمريكا لم تفكر فى أخطائها هى ، بل لجأت الى الهجوم على مصر لتصالح أخطاءها التى ارتكبتها فى حق

مصر فى السنوات الثلاث التى ماطلت وسوفت فىها حتى
أنكشف أمرها .

سياسة اصلاح الخطأ

وتستطيع يا بنى أن تلخص سياسة أمريكا فى ذلك الوقت ،
وفى هذا اليوم الذى آكتب لك فيه هذه الكلمات فى سنة 1957
بأنها سياسة إصلاح الأخطاء بارتكاب اخطاء جديدة .
وفى يقينى يا بنى أن هذه السياسة مبعثها غرور متأصل فى
نفس أولئك الذين يرسمون سياسة امريكا وعلى رأسهم
دالاس . وزيرخارجيتها.. فهم يعتقدون ان لأشياء يقف
امام أمريكا، باعتبارها ، أقوى وأغنى دولة فى العالم ، بعد
الحربين العالميتين . اللتين وقعتا فى النصف الأول من
القرن العشرين ، وهم يؤمنون أن ما لا يدرك بالقوة ، يدرك
بالرشوة والدولار والعكسى بالعكس ... وهذا منطق سياسة
أمريكا اليوم.. وأمس... وغدا... الا اذا أراد الله أمرا . . .

ان قاموس السياسة الأمريكية على عكس ما كان يتوقع
الناس بعد الحرب العالمية الثانية ، أقول لا يعرف قاموس
السياسة الأمريكية الخلق أو المبادئ وانما تستبجح — هذه
السياسة — كل شىء فى سبيلالوصول إلى مصلحة أمريكا
ولا قية للخلق ولا للمبادئ ولا لارادة الشعوب اذا ما
تعارضت مع مصالح أمريكا .

رفضنا لمجرد الشبهة

فأمريكا ، تعلم تماما العلم اننا لسنا شيوعيين ، واننا نرفض السيطرة الأجنبية أيا كانت وقد رفضنا لأمريكا اتفاقيتي الأمن المتبادل ، ورأس المال ، لأننا لا نريد أن نستبدل نفوذ بريطانيا بنفوذ أمريكي وقتلنا ذلك صراحة لأمريكا .

وأمريكا تعلم أننا رفضنا الاغراء والآمال العراض عندما وجدنا شبهة لتدخل ، أو شبهة السيطرة الأجنبية ، ولو فى أقل صورة ، فلماذا تلجأ امريكا الى اتهامنا بكل هذه الأمور وهى تعلم أن لها معنا تجربة رفضنا منها كل هذه الأمور ؟

ان المسألة واضحة ، فبدلاً من أن تعالج امريكا أخطاءها ، التى ارتكبتها في حق مصر قبل عقد صفقة الأسلحة ، اعتقدت انها ستصلح أخطاءها او تخفيها على الأقل بهذا الهجوم .

قصة الاتهامات

من أجل هذا بدأت حكاية اتهام مصر بالشوعية تارة وتارة اخرى بأنها اصبحت قاعدة للتسرب الشيوعى ، ومرة ثالثة بأنها دخلت فى نطاق الشيوعية الدولية .

وبدأت الأخطاء تتراكم وتصبح اخطاء مركبة

البتروى

أما بريطانيا فقد اعتبرت عقد صفقة الأسلحة المصرية التشيكية - هي الأخرى - هزيمة نكراء للسياسة البريطانية في الشرق الأوسط ، وهزيمة أيضا لمشاريع بريطانيا . وبريطانيا أشد حساسية في هذا الأمر من أمريكا باعتبار أنها كانت تعتبر منطقة الشرق الاوسط منطقة نفوذ بريطانية لبريطانيا فيها مصالح حيوية أهمها البترول . هذا بخلاف إسرائيل وبخلاف عامل آخر اشد وطأة من كل ما سبق ، وهو أحتضار الأمبراطورية .

ويهمنى أن أصور لك يا بنى بعض ما كان يختفى وراء هجوم الصحف البريطانية المسعور على مصر بعد عقد صفقة الأسلحة التشيكية ، فالصحافة البريطانية تشترك مع الصحافة الامريكية فى كل ماشرحته لك عن اسرائيل وسيطرة الصهيونية العالمية عليها هى الأخرى بطرق شتى ، ولقد كان موقف الصحافة البريطانية هو نفس موقف الصحافة الأمريكية فى كل ما يختص باسرائيل . حتى إن جريدة " التيمس " التى يطلقون عليها كلمة " الوقورة " لم تتورع عن أن تخرج باحصائية قبل عقد صفقة الأسلحة تنتهى فيها فى زهو وفخر الى أن جيش اسرائيل يستطيع ان يلحق الهزيمة النكراء بجيوش العرب جميعا ، تم ما لبثت هذه اللهجة أن تغيرت بعد عقد صفقة الأسلحة الى البكاء على اسرائيل المسكينة المسالمة ، والى حس الحكومة البريطانية على التدخل لحماية اسرائيل ضد مصر .-

ألا أن وراء حملة الصحف أمورا اخرى كما قلت لك يا بنى .

العداوة بين رجلين

وحملة الصحافة البريطانية كانت موجودة فعلا قبل عقد صفقة الأسلحة بزمان طويل فى تلك الصحف واليك بعض الأسباب .

أولا- رئيس وزراء بريطانيا

ولا تعجب يا بنى أن يكون رئيس وزراء بريطانيا بشخصه وهو المستر ايدن سببا أساسيا فى حملة التضليل التى عزلت الحقائق عن الشعب البريطانى عن عمد ، وشوهتها فى أماكن كثيرة من العالم ، ولم تتضح الا بعد أن سسقط هذا الرجل وانهارت اعصابه .

لقد كان المستر ايدن يعتبر عمك جمال يابنى عدوا شخصيا له ، لمجرد أن عمك جمال حاكم وطنى لا يساوم ولا يخضع لاغراء او لتهديد .

فقد صادف أن كان ايدن هو رئيس الوزارة البريطانية يوم ان وقعت مصر مع بريطانيا اتفاقية الجلاء التى نسفها العدوان بعد ذلك ، ولكن مجرد توقيع هذه الاتفاقية وقتذاك من غير أن تحتفظ فيها بريطانيا لنفسها بحق السيادة على مصر ولو فى بنود سرية ، اثار الأستعماريين فى بريطانيا مما جعلهم يعتبرونها نصرا لعمك جمال على ايدن الذى لم يفلح فى جعل عمك جمال أداة من أدوات بريطانيا . ولقد استجاب ايدن لمثل هذه العقليات المتعفنة وبدا يحقد على عمك جمال .

تصورات حلف بغداد

وصادف ايضا أن المستر أيدين هذا قد تصور أنه يستطيع أن يبسط حماية بريطانيا على العرب بجرة قلم ، وانه يستطيع أن يضع مصر أمام الامر الواقع فتخضع بعد الجلاء . لما هو شر من الحماية والأحتلال وهو الاحلاف ، فأمر عميله الاول فى الشرق الاوسط السيد نورى السعيد باتشاء حلف بغداد وادخال العرب فيه جميعا ، ورتبوا الخطة ، وخرج الحلف الى الوجود ثم بادر بضم بريطانيا اليه ، ولكن مصر هاجمت هذا الحلف كمبدأ أولاً ، وثانيا لما فيه من سيطرة يراد بسطها على العرب ، وثالثا لان من أهم أهدافه المطوية تصفية فلسطين العربية الى الابد لصالح اسرائيل .

وكانت النتيجة أن الحلف ولد ميتا ، حتى ان رئيس اركان حرب الإمبراطورية البريطانية حاول أن يغرى الأردن أو يهدده للانضمام إلى هذا الحلف فى الوقت الذى كان يخضع فيه لسيطرة بريطانيا ويحصل على معونة من بريطانيا ولكن الشعب الأردنى ثار ورفض الانضمام إلى الحلف ، بل وأكثر من ذلك طرد الجنرال جلوب الانجليزى الذى كان يحكم الأردن باسم بريطانيا منذ أن أنشئت .. واعتبر ايدين ان هذا الامر من تدبير عمك جمال يا بنى فحققد عليه اكثر وأكثر .

قصة الكراهية والحقد

الى ان كانت صفقة الاسلحة سنة 1955 فكانت هذه هي قصة الكراهية والحقد فى نفس ايدن رئيس وزراء بريطانيا العظمى من أجل ذلك انطلقت الصحف البريطانية فى الهجوم على مصر بتشجيع ورضا رئيس وزراء بريطانيا الذى كان يغذيها بالسموم والاكاذيب .

ثانيا - ظهور مصر كقوة فى المنطقة

فقد كانت بريطانيا الى ما قبل عقد صفقة الاسلحة هى المحتكر الوحيد لبيع السلاح للمنطقة ، وكان هذا يعنى أنها تستطيع أن تمنح ألقوة وتمنعها حسبما تشاء ووقتما تريد ، ويعنى أيضا ان أية قوى فى هذه المنطقة لن توجد إلا بارادة بريطانيا . فلما حطم عمك جمال يا بنى هذا الأحتكار وهذه السيطرة الأجنبية طاش صواب الكومة البريطانية فى لندن خاصة وان الشعوب العربية باركت هذا الاتجاه واندفعت تؤيده فى حماس رائع يعبر عن عواطفها المكبوتة طوال سنين القهر والاستعمار ، تأتي بعد ذلك أسباب كثيرة أهمها.

ستار وراء امريكا

مصلح بريطانيا وهى تتمثل أساسا فى البترول .

تأثر موقف عملاء بريطانيا بعد أن انكشوا أمام الشعب وبالتالي تأثر موقف بريطانيا تجاه هذه الشعوب وهى التى لاتريد الا الاستعمار وأمتصا الأرزاق بغير تقدير لارادة الشعوب . الخ .. الخ . .

واستترت الحكومة البريطانية أيضا كما استترت الحكومة الامريكية خلف قناع التصريح الثلاثى الذى صدر فى سنة 1950 وحكاية توازن القوى فى الشرق الأوسط .

السبب ثوار الجزائر

أما فرنسا فهى تشترك يا بنى مع أمريكا ومع بريطانيا فى كل هذه الاسباب مضافا اليها سبب اساسى هو مشكلة الجزائر فقد كانت فرنسا متورة هى الاخرى من مصر بسبب التأييد الذى تقدمه مصر لثوار الجزائر العرب الذين يحاربون فى معركة الاستقلال والحرية ، وكان قائلهم يقول أن معركة الجزائر تحسم فى مصر وليس فى الجزائر ، وفرنسا كانت تجاهد عبثا لكى تحتفظ لنفسها بمقعد بين الدول الكبرى وتعيش على أحلام الماضى بعد أن أصبح الحاضر مر وعلقما ، فقد فقدت كل شىء حتى الشرف . ولم يبق لها إل الجزائر التى هى باب الصحراء وباب افريقيا الوسطى ، وهى تظن إن قهر الشعوب هو الوسيلة المثلى للعيش فى الحياة كدولة من الدرجة الاولى .. يضاف الى

ذلك ما للصهيونية العالمية فى فرنسا من سيطرة تامة تكاد تفوق سيطرتها فى أمريكا وهى مضرب الأمثال ويضاف إلى ذلك أيضا ان فرنسا هى ثالث الفرسان الذين وقعوا ما يسمى بالتصريح الثلاثى وأكذوبة توازن القوى .

معالجة الأخطاء بالاختفاء

وهكذا بدأت المرحلة الرابعة يابنى بعد عقد صفقة الاسلحة فى سبتمبر سنة 1955 بداية عنيفة .. ولكن الفرسان الثلاثة ، أخطأوا التقدير كما هو حالهم فى الحاضر والمستقبل يا بنى ، فبدلا من أن يثيروا حربا باردة على مصر بحملاتهم وهجماتهم فى الصحف والاذاعة وعلى لسان الرسميين أثاروا حربا باردة ولكن على شعوبهم وعلى أفكارهم ، أما مصر فقد وقفت صفا واحدا خلف عمك جمال وأخذت تكشف للعرب وللعالم خداع هولاء المستعمرين وفى الوقت ذاته لم تضيع مصر لحظة واحدة فى القلق أو البلبلة كما كانوا يريدون بل اخذت تتجه بقيادة عمك جمال نحو البناء والانشاء .

آمال مصر

وكان أهم مشروع تبنى عليه مصر آمالها هو مشروع السد العالى الذى يكفل مستقبلا كريما ومستوى لائقا من المعيشة لجماهير

الشعب بعد ان اهملت الكومات المتعاقبة فى أيام ما قبل الثورة كل تفكير فى امر مستقبل هذا الشعب وما يولد فيه من أجيال حتى وصلنا الى حالة خطيرة من هبوط مستوى المعيشة .

ولن أحدثك يابنى عن هذا المشروع فستراه باذن الله حين تستطيع ان تقرأ هذه الكلمات . وستقرأ عنه الكثير فى المدرسة ولكننى اريد أن أحكى لك حكايته من زاوية أخرى تتعلق بهذا الحديث الذى كتبتة لك .

فانه بعد أن عقدت مصر صفقة الاسلحة وحطمت التحكم الذى كان مصدره بيع السلاح ، تلفتت أمريكا لتبحث عن طريق آخر تستطيع بواسطته أن تفرض سيطرتها علينا عن طريق المال والدولار .
وكان هو مشروع السد العالى...

اللطة المذهلة

بدا واضحا ان يا بنى أن عقد صفقة الاسلحة المصرية التشيكية قد اصاب بريطانيا وامريكا بلطمة مذهلة .. فقد فقدت الدولتان آخر كارت من كروت المساومة وفرض السيطرة .

و لقد ظل هجوم الصحافة الامريكية يشتد ويعنف بينما كان هجوم الصحافة البريطانية يتسم بالحدر والمرونة إلى ما بعد عقد صفقة الأسلحة بشهرين فانقلبت الآية ، إذ بدا هجوم الصحافة الامريكية يخف بينما اخذ هجوم الصحافة البريطانية يعلو ويشتد ..

وكانت هناك قضية لاتزال معلقة بيننا وبين أمريكا وبريطانيا
هى قضية تمويل السد العالى .

حياة أو موت

وكنا قد طلبنا من البنك الدولي أن يقرضنا حسبما يقضى قانونه لكي نستطيع أن نبني ذلك السد الذي يعتبر مسألة حياة أو موت بالنسبة لمستقبل الشعب المصرى ، وبعد مفاوضات طويلة ودراسة مستفيضة من جانب البنك للمشروع ، وضع* ذلك البنك شروطه لأقراضنا بعد أن رفض أول الامر وكانت هذه الشروط تتضمن شرطين جوهرين اساسيين.

أما الأول : فهو أن تشترك امريكا مع البنك بنصف القرض .

ث الثانى: وهو الأهم ، فهو سلسلة من القيود والالتزامات تجعل من مدير البنك الدولي وزيرا لمالية مصر ومهيما على اقتصاد مصر .

الحلقة المفرغة

أما دور بريطانيا فى هذه القضية فلم يكن إلا رمزيا فقط ، إذ كانت ستشارك فقط بما قيمته حوالى الخمسة ملايين جنيه .

وهكذا عدنا يا بنى الى الحلقة المفرغة مرة أخرى فى قضية تمويل السد العالى بعد أن حطماناها فى قضية شراء

السلاح أو بمعنى آخر طردنا النفوذ الأمريكى والنفوذ البريطانى اللذين كانا يريدان السيطرة علينا بالتحكم فى بيع السلاح من الباب ، فوجدناهما يطلان لنا من الشباك فى شروط البنك الدولى لأقراضنا من أجل بناء السد العالى .
والبنك الدولى لم يكن الا " سيم " فى كمال هذه المناورات ، فبرغم أنه بنك دولى وأنا أعضاء فيه لنا من الحقوق ما لبريطانيا وما لأمريكا ، ألا أن أمريكا هى المساهم الأكبر فيه ، ومديره أمريكى : ولا بد أن يخضع فى أقل القليل لتوجيه أكبر المساهمين .

آمال وورود ورياحين

فيوم أن كانت السياسة الامريكية فى مصر تجتاز مرحلة . الآمال والورود والرياحين ، كان البنك الدولى يقبل علينا فى لهفة لانجاز ذلك المشروع الحيوى العظيم ، ويوم أن كانت السياسة الامريكية تلجأ الى المساومة المقنعة من أجل السيطرة علينا كان البنك الدولى يعرض عنا محتجا بمختلف العقبات التى تظهر له فجأة فتحيل الלהفة أعراضا، والآمال سرايا .

والعجيب ان امريكا ، أو المستر دالاس على الاصح ، يعتقد ان هذه المناورات تنطلى على الناس ، واننا سوف نفرع إليه آخر الامر لكى ينقذنا من الورطة فيبدأ فى أملاء الشروط .

ولكن على العكس من ذلك ، فقد رفضنا شرط البنك
الدولى الخاص بالقيود و؟ اللتزامات ، أما عن اشتراك
أمريكا فى القرض فقد قلنا ان هذا يرجع إلى أمريكا نفسها
عل شرط أن لا تكون هناك قيود أو ألتزامات جديدة من
أمريكا بعد أن رفضناها من البنك الدولى .

وقعنا فى المصيدة .

وهنا اعتقد المستر دالاس مصمم سياسة أمريكا يا بنى
اننا وقعنا فى المصيدة ، ووضع خطته على أن يعوض فى
قضية تمويل السد العالى كل ما خيل اليه أنه فقده فى يوم أن
لطم على خديه ، لطمه صفقة الاسلحة المصرية التشيكية .

والمستر دالاس يا بنى كما وصفه صديق له فى كتاب
نشر على الملاء ، المستر دالاس هذا مقامر ومغامر ، ولعل
هذا يعود الى انه ورث هذه الصفات من نشأته فى ولاية
تكساس بلد رعاة البقر الذين يعيشون على القمار والمغامرة

فالمستر دالاس يعلم ان روسيا قد عرضت علينا رسميا
معونة غير مشروطة لبناء السد العالى ، وهو يعلم أيضا ان
روسيا قد ساعدتنا فى ابرام صفقة الأسلحة التى أصابت
سياسته بضربة فى الصميم ، لذلك دبر خطته على أن يختار
اللحظة المناسبة فيضرب ضربة ينتقم فيها من مصر ويكشف
موقفها ، وفى الوقت نفسه يرد الأهانة الى روسيا بأشد مما
أحس به من مهانة وفشل .

ولكى يجعل من ضربته حدثا عالميا ومفاجأة حاسمة
فى تاريخ البشرية بدأ المستر دالاس يلعب دوره على طريقة
" الشجيع " فى روايات رعاة البقر حينما يكون واثقا من
نفسه ومفتونا بقوته .

فبدلاً من أن يبدو منفعلاً أو متوتر الأعصاب ، بدأ
يبتسم من جديد ، وبدأت الصحف الأمريكية – كما قلت لك
يابنى من قبل – تخفف من هجومها بالتدريج ، وما أن بدأت
سنة 1956 إى بعد عقد صفقة الأسلحة ببضعة شهور حتى
كان دالاس قد أقنع الناس بأنه قد شفى تماماً من مضاعفات
تلك الصفقة ، بل أكثر من ذلك ، فقد أعلن فى مؤتمر صحفى
ان الاسلحة التى اشترتها مصر انما هى أسلحة قديمة وان
الامر لا يستحق كل ما حدث من تهويل .

وعجبنا نحن هنا فى مصر يابنى ، فصدور مثل هذا
الكلام عن مستر دالاس وهو الذى كان فى حالة هستيريا
يوم إن عرف نبأ صفقة الاسلحة ، بل استمر على حالته
لأسابيع بعد ذلك ، أقول كان صدور مثل هذا الكلام عن
دالاس بعد سلوكه هذا مثار عجب ودهشة منا .

وتوالى العجب وتوالى الدهشة .

فلم يلبث المستر يوجين بلاك مدير البنك الدولى أن جاء الى
مصر لكى يؤكد عزم البنك الدولى من جديد على تمويل السد
العالى ، بعد ان وعدت امريكا ، أو المستر دالاس على
الاصح ، بأعطاء مصر نصف القرض على شكل معونة
امريكية لمصر .

الرئيس المنتخب

وجاءت احتفالات الجلاء بعد ذلك فى يونيو سنة
1956 ، وسعدت مصر بأشهر ايامها يوم أن خرج من

الوادي الحبيب آخر جندي بريطاني بعد أربعة وسبعين عاما ،
طوالا من الكفاح ، وبعد خمسة أيام من هذا اليوم هزعت
مصر من أقصاها إلى أقصاها الى صناديق الانتخاب لكي
تنصب جمال عبد الناصر رئيسا منتخبا لجمهورية مصر .

وجاء شهر يوليو من السنة نفسها ، والبلاء في فرح
شامل بالجللاء وبالرجل الذي حقق هذا الجلاء .

لا اله إلا دالاس

وهنا أحس دالاس في الطرف الآخر من العالم أن الوقت
قد حان لكي يضرب ضربته ..

لقد أراد المغامر المقامر أن يثبت للعالم أنه يستطيع أن
يقلب إفراح الشعب المصري المنتصر الى يأس وقنوط ،
ويستطيع أيضا ان ينتزع منه الرجل الذي قاده الى النصر
تلو النصر .

اعتقد المقامر انه سيطيح بجمال عبد الناصر، وفي
الوقت نفسه سيكشف للعالم ان روسيا غير جادة في عرضها
 لتمويل السد العالي ، وأن لا اله إلا دالاس صاحب العبقرية
الفذة والدولارات ، وملك القمار والمغامرة .
واتصل دالاس بالرئيسي ايزنهاور وهو يلعب الجولف في
مزرعته وقال له : أنه سيسحب معوفة السد العالي .

ورد الرئيس ايزنهاور فى غفلة أن امض فى طريقك
ووضع السماعه لكى يعود بسرعة الى الاستمتاع برياضته

وفى الوقت نفسه كانت حكومة مصر قد زودت سفيرها
فى واشنطن باعلان قبول مصر رسميا لمعونة أمريكا والبنك
الدولى .

وبدلا من ان يطلب سفير مصر مقابلة دالاس ليعلنه
بقرار مصر ، استدعى دالاس سفير مصر وأعلنه بقرار
أمريكا أو على الاصح بقرار المستر دالاس وهو سحب
المعونة .

وجلس المستر دالاس يفرك يديه فى نشوة هذا الظفر
بعد أن أذاع بيانه الذى تضمن تحديا واستفزازا لمصر .

وكان هذا يوم 19 يوليو سنة 1956 .

وكان هذا. اليوم انتهاء تاريخ ، وبدء تاريخ جديد .

البيان الطائش

واصبحنا يوم 2 يوليو سنة 1956 ونحن فى دهشة
وحقق شديدين .

فقد كان يستطيع المستر دالاس أن يسحب العرض
الامريكى لمعونة السد العالى فى أية لحظة يشاء ، ولم يكن لنا

أن نعترض او نثور لسبب بسيط هو أن المستر دالاس حر فى تكييف أموره وسياسته ، ولكن الذى أثار حنقتنا كان ذلك البيان الطائش المريب الذى خرج به المستر دالاس على العالم ليعلن أن سحبه لمعونة السد العالى إنما هو مبنى على أساس أن مصر بلد مفلس وان الحكومة الامريكية لا تحمل للشعب الا كل مودة وتقدير .

وقد صيغت عبارات هذا البيان بحيث تعلن فى وقاحة غريبة أن على الشعب المصرى أن يتخلص من جمال عبد الناصر، وعندئذ ستفتح امريكا خزائنها لكى تبني السد العالى ، ولكى تقيم عشرات المشاريع الاخرى لمصر .

واعتقد دالاس - يا بنى- أنه قد ضرب بهذا البيان أكبر ضربة سياسية فى العصر الحديث ، ستنتهى بسقوط عمك جمال وتصفية الثورة والاتجاه التحررى فى مصر وفى جميع انحاء الأمة العربية ، وستنتهى كذلك بتوجيه نطمة قوية لروسيا التى تجرأت - فى نظره - فباعت لنا السلاح من غير قيد ولا شرط .

وجلس " العبرى " دالاس فى واشنطن ينتظر فى زهو وخيلاء. تحقيق النتائج التى أرادها بهذه الضربة .

وفى مصر جلس عمك جمال - يا بنى- يدرس فى هدوء عميق ، فلقد كان تحدى وزير الخارجية الامريكية قد بلغ اقصى حد بهذا التهجم على مصر ، وعلى عمك جمال بحيث أصبح من المحتم أن يكون الرد على هذا التحدى ردا

قويا مذهلا حتى يفيق دالاس وحلفاؤه من غرورهم
وكبيرائهم وصغارهم .

والعجيب أن البنك الدولي ، أرسل خطابا الى وزير مالية
مصر قبل أن يرتكب دالاس حماقته بعشرة ايام فقط أى فى
شهر يوليو سنة 1956 يشيد فيه بسلامة مشروع السد
العالى وبسلامة اقتصاد مصر ، وبعزم البنك الدولى على
المضى فى أقراضنا لتنفيذ ذلك المشروع ، ولكن البنك
الدولى برغم اعترافه فى هذا المستند الرسمى يوم 11 يوليو
سنة 1956 بادر فأعلن يوم 20 يوليو سنة 1956 سحب
معونته مستندا الى نفس الاسباب التى أعلنها وزير
الخارجية الامريكية .

وبريطانيا أيضا، وكانت ستشترك كما قلت لك يا بنى
بمبلغ رمزى هو خمسة ملايين من الجنيهات ، بادرت هى
الاخرى فأعلنت على لسان وزير خارجيتها سحب هذه
المعونة ايضا يوم 20 يوليو مستندة الى نفسى أسباب
المستر دالاس ، وزاد وزير خارجية بريطانيا على ذلك أن
أخذ يتحدث أمام مجلس العموم فى غرور وخيلاء عن قيمة
صداقة الغرب لمصر بما يفضح تشفيه وحقده وهو الذى
حبسه الاحرار فى جزيرة البحرين كما يحبس الفأر فى
المصيدة .

وهكذا أصبح واضحا ان الأمر مؤامرة من نسج دول
الغرب الكبرى ، مؤامرة رسمت فى واشنطن ، وأستجابت
لها لندن وسعدت بها باريس .

وكان على عمك جمال أن يرد كما قلت لك يا بنى ردا
قويا مذهلا .

www.anwarsadat.org

الفصل العاشر

- المرحلة الخامسة : مرحلة المؤامرة
- عمك جمال يرد رده المذهل
- ثورة الثلاثة الكبار
- فشل المتآمرين

المرحلة الخامسة

مرحلة المؤامرات

كان على عمك جمال أن يرد كما قلت لك يا بنى .

كان عليه أن يرد هذا التحدى بتحد أشد ، وأوجع فأهداف المؤامرة واضحة كل الوضوح ، بل ان المستر دالاس صرح فى غرور امام لجنة الشئون الخارجية للكونجرس الامريكى فى جلسة سرية قائلا : أنه من اللحظة التى يتخلص فيها الشعب المصرى من جمال عبد الناصر ، فان أمريكا ستتقدم فى الحال لتقديم المعونة الى الشعب المصرى .

ولم يكن اسقاط عمك جمال هو الهدف الأوحد لضربة دالاس ، بل أن الأهداف الأخرى لهذه الضربة كانت اعرق وأبشع.

فأمريكا تريد أن تطيح بالثورة المصرية التى احتضنت التحرر والاستقلال ، ورفضت فى عزم وأصرار كل أشكال السيطرة الأجنبية وتحكم القوى الكبرى .

وامريكا ايضا تريد ان تطيح بالثورة المصرية العربية . التى احتضنت القومية العربية وتجاوب معها العرب فى حماس وعزم فى كل أقطارهم وبكل قلوبهم وأرواحهم .

وأمريكا غاضبة على مصر لأنها قاومت حلف بغداد .

وأمریکا غاضبة من مصر لأنها ترفض المساومة على حقوق فلسطين العربية وحقوق أهلها المشردین اللاجئين .
وأمریکا غاضبة على مصر لأنها اختطت لنفسها سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز.

وأمریکا غاضبة على مصر لأنها حطمت الطوق الحديدي واشترت السلاح - لتدعم جيشها - من الكتلة الشرقية وأمريكا لا تريد للعرب أن يستيقظوا أو أن يتضامنوا خشية أن يلحق مصالحها الضرر كما تصور لها خيالاتها الاستعمارية البغيضة .

وأمریکا تريد ان تفرض إسرائيل على العرب فرضا شاءوا أو لم يشاءوا .

وانجلترا تريد ايضا هي الأخرى أن تطيح بالثورة المصرية لنفس الأسباب التي ذكرتها سابقا بالنسبة لأمريكا، فأمريكا هي زعيمة المعسكر الغربي وهي التي تمد هذا المعسكر بالغذاء والكساء ولكن بريطانيا كانت أشد حنقا على مصر من أمريكا بعد أن اجبرت على الجلاء عن أرض مصر ، وبعد إن تولى زمام الأمور فيها رجل مريض منهارة هو المستر ايدن .

وكانت فرنسا هي الأخرى اشد حرصا من أمريكا وبريطانيا على القضاء على الثورة المصرية فقد كانت تحلم في يقظتها أن مستقبل الجزائر يقرر في القاهرة وان الثورة

الجزائرية التي كان قد مضى عليها حوالى السنتين وقتذاك
ممكن أن تنتهى فى لحظة اذا ما قضى على الثورة فى
القاهرة .

وكما قلت لك يا بنى فان عمك جمال لا يقدم على خطوة
الا إذا درسها دراسة مستفيضة وقدر الموقف تقديرا واعيا
شاملا دقيقا .

و حين جلس عمك جمال يا بنى لكى يضع تقدير الموقف
الذى سيخرج منه بخطة الرد على تحدى المتآمرين الكبار
كان هادئا كعادته حينما يواجه أية مشكلة برغم أن المؤامرة
تستهدف القضاء على حياة شعبنا لأجيال طويلة مقبلة
وبرغم ان القائمين بها دول عظمى تملك السلاح والقنابل
والاساطيل .

ان من عبقرية عمك جمال يا بنى أنه يبسط كل مشكلة
تواجهه ويعود بها الى أصلها .

والدول العظمى المتآمرة تريد عن طريق تجويع شعبنا
وفرض الحصار عليه أن تحطم مقاومته فيسجد راععا
للسيطرة الأجنبية .

المسألة أذن ببساطة هى تجويع الشعب وأفقاره لكى
يستسلم .

عمك جمال يرد رده المذهل

وتلفت عمك جمال من حوله يا بنى واستعرض تاريخ
كفاح الشعب وآلامه وآماله .

وفى خلال استعراضه للاحداث وقف عند قناة السويس .

ان قناة السويس تمثل فى بلدنا الذى استقل وخرجت منه
جنود الأحتلال قبل ذلك بشهر واحد فقط ، هذه القناة تمثل
آخر معقل من معاقل الاستغلال الاجنبى .

وشركة قناة السويس تمثل أبشع نصب دولى فى القرن
التاسع عشر ، شقتها هصر بسواعد عشرات الالوف من
أبنائها الذين ماتوا وهم يحفرونها سخرة ، وأنفقت عليها من
حر مالها ستة عشر مليونا من الجنيهات من مجموع ما
صرف فى شقها وهو ثمانية عشر مليونا من الجنيهات
بشهادة قنصل امريكا فى مصر وقتذاك .

ومع ذلك تستولى الشركة التى دفعت مليونين واستغلت
عشرات الالوف من المصريين أقول تستولى الشركة على
عشرين مليونا من الجنيهات أرباحا كل عام . ولا تأخذ مصر
التى دفعت حياة أبنائها مضافا اليها ستة عشر مليونا إلا
رسما سوريا فقط لا يتجاوز المليون .

والقناة فى أرض مصر: تحت سيادة مصر وملك لمصر !

والاعجب من هذا أن الذى يستولى على هذه الارباح
الصافية هم العصابة المتأمرة أمريكا وبريطانيا وفرنسا الذين
يتآمرون اليوم على شعب مصر لتجويعه وافقاره وحرمانه
حتى من الاستدانة من البنك الدولى بأبهظ الفوائد ، اذ كنا

سنقترض سبعين مليوناً ، من الجنيهاً نردها مائة وعشرين .

وهكذا أهتدى عمك جمال يا بنى إلى الحل الخالد وكان بسيطاً كما قلت لك يا بنى .

فقناة السويس التى هى ملك لمصر يجب أن تعود الى مصران شركة قناة السويس شركة مصرية ومعطى لها الامتياز من حكومة مصر، ولكنها لم تكن فعلاً الا أخر معقل للاستغلال الاجنبى وموردا يدر الذهب على المتآمرين الذين يتآمرون اليوم لتجويع شعب مصر صاحب القناة . ولم يضيع عمك جمال لحظة واحدة بعد أن انتهى الى هذا القرار .

ففى يوم 26 يوليو سنة 1956 اى بعد الحماقة التى ارتكبتها المستر دالاس وحلفاؤه بأسبوع واحد وقف عمك جمال فى الاسكندرية واعلن فى خطابه السنوى تأميم شركة قناة السويس وفى الوقت نفسه كانت السلطات المصرية تتسلم المرفق .

وأصبح يوم 26 يوليو الذى خرج فيه الملك الفاسد من بلدنا يوماً خالداً بعد ان اضيف الى امجاده هذا المجد الرائع .

اننى مهما وصفت لن أستطيع أن أصف لك يا بنى شعور الشعب المصرى حينما أعلن عمك جمال هذا القرار الخالد .

لقد كان الشعب فى فرح مذهل خاصة أن تأميم شركة
قناة السويس كان أملا يجرى فى كل خاطر .

وأمر آخر يا بنى .

لقد احس كل مواطن باعلان هذا القرار أن كرامته قد
حفظت وأن كبريائه قد رضى واطمأن بعد أن ظل المتآمرون
الكبار طيلة اسبوع مضى – بين سحب المعونة وأعلان
التأميم – يتيهون فى صحافتهم وابواقهم غرورا واستعلاء .

ولم يكن الشعب المصرى وحده هو الذى أحس هذا
الاحساس وانما احست به كل الشعوب العربية تماما كما
حدث يوم أن عقدت صفقة الأسلحة ، ولكن يوم القناة كان
أخلد وأروع لأنه كما قلت لك يا بنى كان نهاية تاريخ وبدء
تاريخ .

ثورة الثلاثة الكبار

الا ان التآمر لم ينته بل على العكس من ذلك ثارت
ثائرة المتآمرين الكبار .

وصممت بريطانيا وفرنسا اول الامر على أن يقوموا
بالهجوم على مصر فورا ، وسافر المستر دالاس إلى لندن
لكى يهدىء من روعهما وينصحهما بأن يحلا الأزمة على
طريقة الحل الذى طبق فى إيران ضد الدكتور مصدق أى
بالتآمر فى الداخل لنسف الثورة المصرية ، وبالتالي الغاء

قرار التأميم وعودة الأمور الى سابق عهدها كما حدث
لشركة البترول فى ايران .

ولما لم تجد بريطانيا وفرنسا نفسيهما فى حالة تسمح
لهما بالهجوم العاجل كما كانتا تريدان فان الثلاثة الكبار
يخرجون من اجتماعهم بقرار هو عقد مؤتمر فى لندن
وكانت اكبر مهزلة هى أنهم جعلوا من أنفسهم أولياء لأمر
هذا العالم فعينوا الدولة التى تحضره وجعلوا أكثر من ثمانين
فى المائة منها من تلك الدول التى تسير فى فلكهم وتخضع
لسيطرتهم .

والعجيب أن الثلاثة الكبار وجهوا الدعوة إلى مصر فى صورة انذار يحمل القرارات التى يجب أن يخرج بها المؤتمر من قبل أن ينعقد ، كما وجهوا نفس هذه الدعوة الى بقية الدول التى ستحضر هذا المؤتمر ورفضت الدول الحرة التقيد بأى شىء - من قبل - بعد أن وافقت على الدعوة .

أما هنا فى مصر فانا بعد دراسة طويلة لهذا الامر واستجابة لما ارتآه عمك جمال اتفقنا على أن يسافر عمك جمال بنفسه إلى لندن لى يواجه المتآمرين الكبار وجهها لوجه أملا فى الا نترك طريقا لإمكان ايجاد حل سلمى ولا نظرقه .

ولكن لم تمضى أربع وعشرون ساعة على اتخاذنا هذا القرار حتى خرج المستر أيدن رئيس وزراء بريطانيا الرجل المريض الخائن بحديث فى التليفزيون خرج فيه على كل ادب وعرف ولياقة ، وكال لمصر ولعمك جمال الشتائم والتهم .

واصبح واضحا أن لا أمل فى ان يعرد هؤلاء المتآمرون الى رشدهم وأنا زيارة عمك جمال للنندن لن تفهم عل معناها الحقيقى .

واعلن عمك جمال فى مؤتمر صحفى عقد فى البرلمان رفض مصر لحضور المؤتمر ، وفند دعوى المتآمرين الكبار

واعلن عن عقد مؤتمر يضم جميع الدول التي تستخدم القناة
يعقد في القاهرة .

فشل المتآمرين

وعقد مؤتمر لندن الاول وأنتهى الى قرار أيدته الدول
التابعة للمتآمرين ورفضته الدول الحرة ، وارسلو رئيس
وزراء استراليا إلى مصر لكى يبلغ عمك جمال بهذا القرار
ولكى يهدد عمك جمال .

واحتقر عمك جمال التهديد .

وعاد رئيس وزراء استراليا الذى كان يفخر بأنه
استعماري ، عاد الى لندن وإنعقد مؤتمر لندن الثانى وقد
سميته فى مقالاتى لتي كنت اكتبها لجريدة الجمهورية
وقتذاك " بالمؤتمر الحزين "

لقد اجتمع هذا المؤتمر وانفض من غير ان يتخذ قرار .

الى ان كان اقتراح جمعية المنتفعين .

وهذا الاقتراح من بنات أفكار بطل قصتنا هذا المستر
دالاس .

المقامر المغامر، همس به فى أذن الرجل الحائر
المريض ايدن رئيس وزراء بريطانيا .

وستقرأ يا بنى تفاصيل هذه الفقرة فتعرف أن هذا الاقتراح فشل كما فشلت كل خطط المستر دالاس وحلفائه المتآمرين .

وستقرأ يا بنى أيضا عن مؤامرتين حاول المتآمرون تنفيذهما عند انعقاد مؤتمر لندن بقصد تعطيل الملاحة فى قناة السويس وكيف أنهما فشلتا أيضا كما . فشلت من قبل ومن بعد كل خطط التآمر والعدوان .

إلى أن ذهب المتآمرون يشكوننا فى مجلس الأمن .

وبعد مناقشات ووقت فيها روسيا ويوغوسلافيا الى جانبنا اتخذ مجلسى الامن قراره المشهور بالمبادئ الستة التى تحل على أساسها المشكلة حلا سلميا تحت اشراف سكرتير الامم المتحدة ، وكان قرار مجلس الأمن فى 13 أكتوبر سنة 1956 حدد يوم 29 أكتوبر لاجتماع مندوبى مصر وبريطانيا وفرنسا فى جنيف للتفاوض من أجل الوصول الى ذلك الحل .

ولكن

كان مقدرنا ألا نذهب الى جنيف لأن المتآمرين الكبار كانوا قد أبرموا أمرا بليل ، وهجمت إسرائيل يوم 29 أكتوبر سنة 1956 على مصر كمقدمة للمؤامرة الدنيئة الكبرى التى لم يعرف التاريخ لنذلتها وخستها مثيلا إلى اليوم .

www.anwarsadat.org

الفصل الحادى عشر

- المرحلة السادسة : الازلال بالقوة .
- الإندار بالإندار والبادى أظلم .
- المرحلة السابعة : الفضيحة الكبرى .
- المرحلة الثامنة الأصرار على المؤامرة .

المرحلة السادسة الأدلال بالقوة

كان ايدن قد أصطحب معه تلميذه الفاشل وزير خارجيته الى باريس يوم 16 أكتوبر سنة 1956 حيث اجتمعا هناك برئيس وزراء فرنسا ووزير خارجيتها اجتماعا طويلا تقررت فيه المؤامرة وتقرر فيه دور إسرائيل ودور الدولتين الغادرتين ، ولم يكن مداد القرار الذى اتخذ قبل ذلك فى مجلس الامن بثلاثة أيام ، وارتضته فرنسا وبريطانيا قد جف بعد .

وبينما نحن نعد العدة للاجهاز على اسرائيل بعد ان بدأت العدوان اذ بانذار هو الأول من نوعه فى تاريخ البشرية فى وقاحته وغروره يأتى الينا من فرنسا وبريطانيا .

ورفضنا الانذار

واحس عمك جمال - يا بنى - بالمؤامرة فى سرعة ويقظة وأتخذ قراره التاريخى بسحب قواتنا من سيناء لكى تنضم الى الشعب فى المعركة الفاصلة ضد بريطانيا وفرنسا .

ان هذا القرار - يا بنى - كان اول ضربة سددها عمك جمال الى المتامرين لاحباط المؤامرة ، وسيظل الى الابد عملا فذا من أعمال عمك جمال التى أراد الله ان يحقق بها عل يديه عزتنا وكرامتنا ، وأن يحقق بها على يديه أيضا استقلالنا ونصرة القوميه العربية التى كان يراد لها أن تقبر الى الأبد .

ودخلت بريطانيا وفرنسا الحرب ، وستجد يا بنى وصفا
تفصيلا لكل هذا فى كتاب آخر لى الا أن ما يهمنى أن أقوله
لك هو أن مرحلة الأدلال بالقوة هذه التى أرادوا فيها الأدلانا
قد انقلبت عليهم يوم 6 نوفمبر سنة 1956 حينما وضح
للعالم أن مدينة صغيرة هى بور سعيد المصرية قد صمدت
لجيوش وأساطيل بريطانيا وفرنسا ومعدات حلف الاطلنطى
ولم تستسلم .

إنذر بولجانيين الإنذار بالإنذار والبادى أظلم

وأرسلت روسيا إلى بريطانيا وفرنسا بإنذارها المشهور بعد أن حاولت أن تشارك معها أمريكا فى وقف العدوان ولكن هذه رفضت وتخاذلت .

لقد صيغ الإنذار الروسى فى عبارات أرسلت الرعب فى مفاصل رئيس وزراء بريطانيا ورئيس وزراء ما يسمى فرنسا .

استمع معى يا بنى الى كلمات هذا الانذار القوية المروعة.

قال بولجانيين فى الانذار الى المتأمرين :
" اننا مصممون كل التصميم على استخدام القوة للقضاء على العدوان وانهاء الحرب فى مصر .

وقال أيضا فى انذاره لايدن :

" ان بريطانيا يجب ان تفكر فى موقف يجعلها معرضة للهجوم من دولة أقوى منها كثيرا تستطيع ان تشن هجوما عليها لا بالسفن ولا بالطائرات ولكن بالصواريخ الموجهة .

وأنتك لتعد استخدام الصواريخ الموجهة ضد بريطانيا
عملا همجيا.. ولكن ما الفرق بين مثل هذا الهجوم على
بريطانيا ، والهجوم الذى تشنه بريطانيا وفرنسا على مصر
وهى غير مستعدة ! ؟

عندئذ انهار ايدن وانهار زميله فى فرنسا ، وبدلا من ان
يدلوا مصر بالقوة أدلهم الله أبشع ادلال بالقوة ايضا .

قوة الصواريخ

وانهار ايدن وانتهت مرحلة الادلال التى كان مغروضا
انها ادلال لنا إلى الأذلال ولكن لبريطانيا وفرنسا !

المرحلة السابعة

مرحلة الفضيحة الكبرى

حاولت بريطانيا وفرنسا التهرب من تنفيذ قرارات هيئة
الأمم المتحدة ، التى اتخذت باجماع يكاد انا يكون تاما ،
وتنص على انسحاب المعتدين من أرض مصر .
وهنا ظهرت أمريكا مرة أخرى .

فقد كان المستر ايزنهاور رئيس أمريكا يخوض معركة
تجديد الانتخابات واختار ايدن وموليه هذا الوقت بالذات لكى
يجهزوا على مصر ، فالمستر ايزنهاور مشغول بانتخابات
الرئاسة وهو فى حاجة الى اصوات اليهود حلفاء بريطانيا
وفرنسا فى العدوان .

عل مصر ولكن المستر أيزنهاور وقف - يا بنى - وقفة لا بد لى أن أسجلها له بالشكر والتقدير برغم ما فات وبرغم أن هذه الوقفة لم تلبث بعد أتسحاب بريطانيا وفرنسا أن تغيرت وانطمست بعد ظهور المستر دالاس مرة ثانية فى الميدان. .

فى هذه المرحلة انفضح المتآمرون وأخذ كل واحد منهم يحمل المسؤولية لأخيه .

أما أيدن رئيس وزراء بريطانيا فقد انهار وخارت قواه وأعطى أجازة .

وفى مجلس العموم البريطانى كشفت المناقشات عن فضائح تزكم الأنوف عما ارتكبه الحكومة البريطانية ورفضت هذه الحكومة إجراء تحقيق لتحديد أدوار المتآمرين واستنكر نواب العمال المؤامرة أبشع استنكار .

وفى فرنسا أعلنوا رسميا أن هدف العدوان لم يكن يقتصر على القضاء على مصر وزعيمها فقط ، وانما كان أيضا تصفية الحرب فى الجزائر واعادة سيطرة الغرب على البلاد العربية بأكملها والقضاء نهائيا على القومية العربية .

وفى إسرائيل ربيبة أمريكا وقاعدة الغرب للعدوان والاستعمار انفضحت النوايا وكانت أول الأمر القضاء على اوكار الفدائيين ثم أصبحت بعد تدخل بريطانيا وفرنسا وانسحبنا من سيناء أصبحت الفكرة الاستيلاء على سيناء و اضافتها الى إسرائيل ثمنا لها على العدوان ، ثم تضاعفت

الفكرة الى قطاع غزة ، ثم انتهت وتحطمت الاطماع بعد أن وقف الراى العام العالمى كله يستنكر تلك المؤامرة الدنيئة .

وظل عمك جمال يا بنى فى كل هذا رابط الجأش صلب الارادة لا يساوم ولا تنزله أو تنال منه الخطوب والاحداث .

إلى أن كان يوم 23 ديسمبر سنة 1956 وأنهى انسحاب بريطانيا وفرنسا من بور سعيد ، وبقيت إسرائيل تحاول المراوغة والافادة من العدوان .

المرحلة الثامنة

الأصرار على المؤامرة

قلت لك يا بنى ان المستر أيزنهاور رئيس أمريكا وقف وقفة يستحق عليها الشكر والتقدير ونسيت أن أقول لك ان المغامر دالاس لم يكن الى جانبه فى ذلك الوقت كما هى عادته دائما ، وانما كان فى المستشفى وكانت تجرى له عملية .

حين خرج المستر دالاس من المستشفى بدأ يرسم من جديد سياسة أمريكا كعادته .

والستر دالاس يا بنى مغرم بالتقليعات الأمريكية ، ومعتد بنفسه وبخطته إلى حد السفه والجهل والغرور !

فلقد فكر المستر دالاس فى أن يضع خطة بهلوانية يستطيع بها ان يحقق الاهداف التى لم تستطع برطانيا وفرنسا بجيوشهما أن تحققها ولكن من غير حرب !

والمستر دالاس كما قلت لك يا بنى مفتون بقدرته
وخطته وقد أطلق على خطته هذه اسم " العزل " .

كان يقصد بالعزل أن يتم عزل مصر عن العالم أول ا،
وعن شقيقاتها العربيات ثانيا، وبعد ذلك يمكن تنفيذ خطة "
الغزو من الداخل " التي اتبعت مع الدكتور مصدق فى إيران
ونجحت .

أما العزل من الخارج فقد بدأه المستر دالاس عقب
خروجه
من المستشفى مباشرة على شكل ضغط سياسى وحصار
اقتصادى وتجميد لأموال مصر ومنعها من الحصول على
حاجاتها من أسواق العالم .

وقد نفذ المستر دالاس الضغط السياسى بسلسلة من
التصريحات أصدرها هو وأوعز ببعضها الى المستر
ايزنهاور فأصدرها هو الاخر يشيدان فيها بحق اسرائيل
فى المرور فى قناة السويس وحق إسرائيل فى المرور فى
خليج العقبة ة ومحاولة تدويل قطاع غزة أو ضمه الى
إسرائيل الى آخر ما صدر من تصريحات فى ذلك الوقت عن
المسئولين فى أمريكا ، وكان هدف المستر دالاس هو تضليل
العالم وعزل قضيتنا عن الرأى العام العالمى .

وقد نفذ المستر دالاس الحصار الاقتصادى فرفض أن
يبيعنا القمح يوم إن كنا بعد العدوان على وشك أن نجوع
لنفاد مخزون القمح ، ورفض أن يبيعنا البترول بعد العدوان

أيضا وبعد أن حطمت اسرائيل بتأييد حليفته بريطانيا وفرنسا وبالسلح الذي أعطاه لها مستر دالاس - آبارنا فى سيناء فى الوقت الذي أعلنت فيه أمريكا رسميا عن معونات وأغذية تقدم مجانا لاسرائيل المعتدية .

وأوعز المستر دالاس اف إلى الأسواق الغربية لكي لا تشتري منا أو تبيعنا شيئا .

وجمد المستر.. دالاس رصيدنا من الدولارات فى أمريكا .

وأما الغزو من الداخل فقد بدأه المستر دالاس أيضا عقب خروجه من المستشفى بأن أوعز الى عملائه من ملوك ورؤساء الرعب بأن يستعدوا للدخول فى المعركة ضد مصر .

بدأت خطة الغزو من الداخل بزيارة الملك سعود لأمريكا فى يناير سنة 1957 أى بعد مضي بضعة أيام من انسحاب بريطانيا وفرنسا.

والمستر دالاس لا يضيع الوقت يا بنى .
هناك جلس الملك سعود الى المستر دالاس ورجاله وتلقى منهم الأوامر بالخطة الجديدة ، لقد اختاروه لكي يمثل الدور الجديد ، اختاروه لكي يكون الزعيم الأوحده للمنطقة وعليه أن ينفذ ما يطلب منه لكي تؤكد له أمريكا ، زعامته على العرب ، وعلى المسلمين .

كان عليه أن يحسن علاقاته بحكام العراق عملاء
أمريكا فصدع للأمر وسافر الى العراق .

وكان عليه أن يسقط الحكم الوطنى فى الاردن ويأتى
بعملاء أمريكا فى الحكم .

وكان عليه ان يتصل بالسيد كميل شمعون - رئيس -
لبنان لينسق معه الخطط ويدبر فى بيروت المؤامرات .

وقد نفذ هذا ايضا بأمانة واخلاص !

وكان باقى الخطة هو أن يتكون من هؤلاء الحلفاء حزام
جديد يعزل مصر وسورية اللتين رفضتا أن تسيرا فى فلك
أمريكا، ثم تدبر المؤامرات فى بيروت ضد سورية وضد
مصر لاتمام خطة الغزو من الداخل .

وقد نفذ هذا أيضا بأمانة واخلاص ، ودفع الملك سعود
نصف مليون جنيه لمؤامرة المراعى التى كان هدفها اغتيال
عمك جمال ، وفشلت هذه المؤامرة على يد بطل مصرى هو
الضابط عصام الدين خليل .

وفى سورية دفع الملك سعود مرة ثانية مليونين من الجنيهات لكى تحبط الوحدة بين مصر وسورية ، ولكى يغتال عمك جمال أيضا ، وفشلت هذه المؤامرة كما فشلت سابقتها على يد البطل السورى عبد الحميد السراج .

وبدلا من أن تعزل مصر ، عزل الملوك والرؤساء العرب — من عملاء أمريكا — عن شعوبهم ، وأصبح من المحتم أن ينقذ المستر دالاس عملاءه الذين ظهر أنه أتى بهم لينقذوه ، وينقذوا سمعة أمريكا من الحضيض .

واليوم وأنا أكتب لك يا بنى هذه الكلمات يحاول المستر دالاس أن يوهمنا ويوهم العالم أنه قد غير سياسته نحو مصر وسورية اللتين أصبحتا بلدا واحدا فى الوقت الذى يوعز فيه لعملائه حكام لبنان بالتقدم إلى مجلس الامن بشكوى ضد الجمهورية العربية المتحدة فى محاولة لاتقاذهم من غضبة شعوبهم ! .

ان تطورا يحدث اليوم يا بنى فى بلدنا وفى أمتتنا سأفرد له الأجزاء المقبلة من هذه الذكريات التى اكتبها لك ، فأحداث السنة الواحدة اليوم تفوق ما كان يحدث فى مئات السنين ، ولا يزال عمك جمال يا بنى كما قلت لك هو المحور الذى يدور من حوله كفاحنا وتتلور فيه آمالنا وأمل الأجيال المقبلة فى الحياة والكرامة والسلام .

من أجل ذلك فأنا أختتم هذا الجزء من ذكرياتي لك بحديثي الذى توجهت به إلى الله يوم أن عاد عمك جمال

من رحلته الموفقة الى روسيا ففيه تلخيص لهذه الحقبة التي
حفثت عنها في اجمال س.

الحبيب العائد

وجمال يارب من صنعك الرائع ، وابداعك القاهر أنه
عبدك المؤمن بك ، المتوكل عليك ، المسير بالهامك ،
الباعث في شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .

ولقد نصرتنا به يارب في مواطن كثيرة .

نصرتنا به يوم أن ضاقت علينا أرضنا ، وحبس الملك
الخليع هو وشركاؤه علينا انفاسنا ، فشاعت قدرتك ان
ينتصر الشعب وان يملأ ارارته كفاحا ونضالا وخلقا وابتكارا
، وتضحية وفداء وصلابة واصراراً من خلال جمال ، وعلى
يد جمال ، ويبين منك يارب وهبته لجمال .

ونصرتنا به يارب يوم ان خضنا مع بريطانيا معركة
الجلاء .

كانت جيوش بريطانيا تدنس بأقدامها ارض واديننا
الظاهر الحبيب ، كان ترابنا يصرخ من وقع أقدامهم ، وكان
هواؤنا يتلوى من بخر انفاسهم ، وكانت سماؤنا تتملل
وهي تظل عوراتهم .

لغنهم شعبنا ، واحتقرهم نيلنا ، ومع ذلك ظلوا زهاء
السبعين عاما يعيثون بالحرمان ويغتصبون الارض والارزاق
، ويسفهن احلام الناس ويخيفون أيضا الملك والافيا من
الزعماء .

وأردت يارب، فخرج اليهم جمال أن احملوا عصاحم
على الكاهل وارحلوا او اقبلوها حربا لاتعرف النقص أو
الخداع .

فاوض جمال فلم يساوم ، و قاد المعركة فلم يهادن ،
و حين أنجلى الغبار ، كان الوطن قد تطهر من رجس اولئك
الانجاس من خلال جمال وعلى يد جمال وبيقين منك يارب
وهبته لجمال .

ونصرتنا يارب فى معركة احتكار السلاح .

كانت بريطانيا ايضا تطبق على هذا البلد شرائع عجيبة
فى التحكم والسيطرة والاحتكار .

فلقد كانت بريطانيا تحتقر حكام هذا البلد ، وهم الذين
ارتضوا ان يسيروا فى فلكتها ، ويأتمروا بأمرها وهذه هى
سنة الكون فالذى يسلم قياد نفسه لغيره لن يكون جزاؤه من
هذا الغير الا المهانة لانه اذل نفسه بالحضوع له ..

وظنت بريطانيا انها تستطيع أن تفرض على هذا البلد
أحتلالا وسيطرة عن طريق بيع السلاح بعد ان فقد ذلك
الاحتلال وتلك السيطرة وجودهما بجلاء الجنود والمعدات ..

وخذت أمريكا حذو بريطانيا فى سوء القصد وخبث
الطباع .

وجرى قدرك ياربى فدخل الشعب كله المعركة بقيادة
جمال ليخرج منها - وهو الشعب الاغزل الصغير - ظافراً
بعد أن لقن الكبار درسا فى الأخلاق .

تعلمت امريكا ان هناك من يؤمنون بالقيم العليا ،
وأنهالاتباع ولا تشتري حتى بملايين الدولارات .

وتعلمت بريطانيا ان شعبا صغيرا شريفا يستطيع ان
يهدم غرور السيطرة ونفاق الهيبة وكذب الوقار .

وعرف العالم كله أن شابا أسمر أسمه جمال ومن ورائه
شعب اعزل الا من الايمان ، عرف العالم أنهما قد استطاعا
ان يحطما قيود السيطرة التقليدية للكمار بل لقنا هم أيضا
أعمق درس فى الكرامة عليهم يقلعون عما يملا عقولهم من
تفاهة وصغار .

وكانت هذه المعركة أيضا بقيادة جمال ، صنع خطتها
جمال ووضع تكتيكها جمال ، على هدى يقين منك يارب
وهبته جمال .

ونصرتنا به يارب فى معركة قناتنا :
لقد ارادوا بنا كيدا فكانوا هم الأخسرون .

فحين صور الوهم لكبيرهم أنه يستطيع أن يذل كرامتنا
، نحن الشعب ، بالتجويع وبالايقاع بيننا وبين زعينما جمال
، بادر جمال فرد الصفعة صفعتين وبدلا من أن نجثو على
ركبتنا أرتفعت هامتنا فوق أرضنا واحتفظنا برشدنا ، فى

الوقت الذى طاشت فيه عقول الكبار وأكلهم حقدهم حتى أن
نجما معطرا من دهاة ساستهم سقط صريعا وخارت قواه .

وجاء العدوان على صمورة مؤامرة دنيئة وإنذار قدر فى
معناه
وفى مبناه وسيظل يحكى للأجيال قصة اللؤم والغدر والغرور
.

وفجأة انكشف اللؤم وانهزم الغدر وتحطم الغرور وفاح
فى العالم كله نتن أولئك الذين كانوا ينصبون من أنفسهم
حراسا على المبادئ فداسوها ، وحماة للحقوق وهم
ناهبوها .

وبعد العدوانا جاءت معركة العزل والتجويع والحصار ،
فلم تختلف عما سبقها من معارك الا فى ان ابطالا جددا من
ملوك ورؤساء ا لعرب قد دخلوها الى جانب امريكا
وبريطانيا وما يسمى بفرنسا .

ويشاء الله ان تفشل أمريكا كما فشلت حليفاتها ، وينهزم
البعى
ويتحطم الطغيان .

ويشاه الله أيضا أن ينكشف أمر أولئك الملوك والرؤساء
عل صورة تبعث على الرثاء والاشفاق وهم الذين كانوا
يوقنون ان جمالا قد شطب اسمه فى واشنطن ونسوا ان
الذى يكتب ويشطب هو رب السماء الذى صنعهم وصنع

جمال ، وهو الذى اورثهم الخيبة بعد ان أشركوا بقدرته ،
ووهب جمال الحكمة ، وهو المؤمن بعزته ووحدايته .

وجمال يا رب من صنعك الرائع وابداعك القاهر، انه
عبدك المؤمن بك المتوكل عليك المسير بالهامك الباعث فى
شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .
ونصر اليوم يا رب هو أروع ما وهبتنا من أنتصارات .
لقد وهبتنا ، يارب ، الصداقة... أشهى ثمرة من ثمرات
هذه الحياة.

فطالما مددنا أيدينا بالصدقة للجميع فى حماس
وأخلاص ، وكنا نحزن حينما تمتد إلينا أياد وهى ترتدى قفاز
الغرور أو قناع السيطرة ظنا منها اننا لا نرى بأعيننا أو
نحس بوجودنا .

وقد رفضنا مصافحة هذه الأيدي حتى تتطهر من هذا
القفاز ومن ذلك القناع .

الى ان كانت أول يد شريفة تمتد إلينا وتخوض معنا
مماركنا فى حماسة واخلاص .

رأيناها يوم كنا نحارب معركة احتكار السلاح للتحكم
وفرض السيطرة .

امتدت إلينا هذه اليد بالسلاح من غير قيد ولا شرط وبلا
تحكم أو سيطرة ، وانما بصدقة وتجارة شريفة وأحترام

متبادل وتقدير لظروفنا فاق في كل معناه كل أخوة وكل
صداقة .

وأمتدت إلينا هذه اليد أيضا بالتأييد يوم أن عادت لنا
قناتنا .

وأمتدت إلينا هذه اليد أيضا بالتأييد يوم أن تأمر الكبار
علينا في مجلس الامن فكان " الفيتو " الروسى هو اللطمة
التي جعلتهم يفيقون من غشيتهم لكي يعترفوا بعد ذلك فى
أيماننا هذه بعودة الحق الى أصحابه .

وأمتدت إلينا هذه اليد بالتأييد الجبار الساحق يوم أن
خرج على بريطانيا وفرنسا ذلك الانذار المشهور فانهار
غرور المعطر ايدن فجأة وجثا على ركبتيه وانهارت قوى
عصابة مومارتر التي كانت تحكم فرنسا .

ياألهى .. أننى اذكر ذلك الانذار اليوم كما يذكره كل
عربى ، فلا نملك الا احتقار الغرور ، والرثاء للمغرورين .

وأمتدت إلينا هذه اليد فى معركة الضغط والتجويع
فأرسلت لنا سنابل القمح ومراكب الزيت لكي يأكل الشعب
ويطهو خبزه وطعامه ويدفىء برده ويبرىء آلامه .

وأمتدت إلينا هذه اليد فى معركة الحشود عل اقليمنا
الشمالى فبا التهديد بالخسران وانحسر الغرور مرة اخرى
وأنهزم الباطل وانهارت خطة العدوان .

وامتدت الينا هذه اليد مرة أخرى لكي ترفع فى وطننا
الأبنية وتدور

الآلات ، ولكى تعمل أجهزة الكشف والتقيب وتخرج
الثروات وتدفق المياه من السدود والخزانات ، فيرتوى
الزرع ، ويسعد الأهل في ظل كرامة محفوظة ، وجريّة
مصانة ، وأستقلال مشيد ، وأمل متزايد ، ومستقبل مشرق.

أعرفتها ... انها يد الشعب السوفيتى الصديق .

فبارك لنا يا رب في هذه النظيفة المخلصة .
وبارك لنا يا رب فى هذه الصداقة الشريفة التى دعمها
الشعب السوفيتى بحبه لجمال ، فنحن لا نملك الا أن نبادل
هؤلاء الاخوة حبا بحب واعجابا باعجاب وصداقة بصداقة
نفخر بها على مر الأيام .

جمال .. أيها الحبيب العائد .. أهلا بك رائدا ورمزا
وزعيما .

أهلا بك فى أهلك يا أبا العرب ومونل أمهم .

أهلا بك فى أهلك. يا رسول الخير والحق والسلام .

اهلا بك فى أهلك يا صديق الأحرار ومناظر رجائهم .

وجمال يارب من صنعك الرائع وابداعك القاهر ، انه
عبدك المؤمن بك ، المتوكل عليك ، المسير بالهامك ،
الباعث في شعبه وقومه رسالة الحق والعزة والسلام .

فهرس

الصفحة	الموضوع
5	مقدمة يا ولدى
9	الفصل الأول
10	عمك جمال وأسلحة حلف الأطلنطى
14	أقدم وثيقة لاعلان حقوق الإنسان
22	الفصل الثانى
23	سأحكى لك عن جدتى
28	نفس الهدف
35	الماضى يعود
45	الفصل الثالث
46	كيف حدث هذا يابنى
50	ثورة 23 يوليو والثورات
53	شخصية عمل جمال
58	الفصل الرابع
59	الانتصارات التى حققتها الثورة
72	مظالم 600 سنة
79	ثورة 23 يوليو مدرسة

83	الفصل الخامس
84	لن أستطيع أن أكون دكتاتورا
94	جمال عقل الثورة
98	أنتصر لنا جمال
102	الفصل السادس
103	المراحل الثماني الخالدة في تاريخ الثورة
106	المرحلة الأولى : مرحلة الآمال
111	صداقتنا بالسفير الأمريكى
118	أخطر أسلحة الاستعمار
123	الوعود والأمانى
128	الاستعمار يبدأ ببعثى عسكرية
130	اتفاقية السودان
134	الفصل السابع
135	الخلاف بيننا وبين الغرب
148	قالوا عمك جمال دكتاتور
152	العدوان السلمى
154	المرحلة الثانية : مرحلة التضليل
163	الفصل الثامن :
164	المرحلة الثالثة : مرحلة ظهور النوايا
166	المأساة التى شهدتها القاهرة
167	مساومات على الشرف
177	الفصل التاسع
178	المرحلة الرابعة : مرحلة المساومة
179	الكلاب الضارية تنبح فى هستيريا صاخبة
181	حكاية توازن القوى

186	العداوة بين رجلين
190	معالجة الأخطاء بالأخطاء
204	الفصل العاشر :
205	المرحلة الخامسة : مرحلة المؤامرة